الى القارئ

ظلال وانوار

في مطلع الربع الاخير للقرن العشرين

تظهر هذه السانحة للناس فى مطلع 1976 وهى السنة الاولى من الربع الاخير للقرن العشرين ، وبهذه المناسبة يحسن بالمثقف المسؤول الواعى ، الذى ليست « قريحته ترابية ولا فكرته سحابية » ـ كما قد يقول أبو حيان التوحيدى ـ أن يتأمل منزلة الانسان فى العالم ويقيم ما حققه من تقدم وأنجزه من فتوحات وأن يمعن النظر بشجاعة واعتدال فيما يحدق به من أخطار ويخبؤه له المستقبل من مفاجآت ، من دون أن تظلم الدنيا فى وجهه فتكتنفه سحب التشاؤم الكثيفة ويشل عزيمته اليأس ومن دون أن تبهره كذلك ألوان العصر البراقة فيعشى بصره لمعان الاشياء ويخدر أعصابه التفاؤل الساذج •

إن الانسان تمكن منذ أول هذا القرن الى اليوم من تسجيل انتصارات باهرة ، ما من شك فى ذلك ، سواء بما آكتشفه من نواميس علمية واهتدى إليه من تطبيقات تقنية عجيبة تساوى فى حجمها وبعد تأثيرها على مجرى الحياة ونوعها وحتي معناها كل ما تم كشفه منذ أكثر من عشرين قرنا ، خاصة فى علوم الطبيعة والكيميا والحياة والطب ..، أو ما تخطاه من مراحل عملاقة حاسمة فى درب التحرر ومقاومة الظلم والجور والاستغلال ، ناهيك أن ما يزيد عن مليار من البشر فازوا بالحرية السياسية وتحملوا شرف الاضطلاع بتقرير مصيرهم وحتى شرف ارتكاب الاخطاء فى تبينهم ـ بأنفسهم لأنفسهم ـ أقوم المسالك لبلوغ القصد ، وافتضح أمر الصهيونية والعنصرية والامبريالية المقنعة وبلغ إرهاف الضمير العالمى حدا جعله يستبشعها ويصح منه العزم على آستئصالها وتحرير الانسانية من كابوسها ووصمة عارها •

غير أن الواقع ، اذا نحن استبصرنا أبعاده الحقيقية ولم نكتف بالصور الذهنية المعزولة عنه أو نغرق فى شؤون الحياة اليومية وشجونها ، ملء بالاخطار ، زاخر بنقط الاستفهام حول مستقبل الانسان ومصيره •

ذلك أن عددا متزايدا من الملاحظين ـ سواء انتسبوا الى السياسة والاقتصاد او العلم والثقافة والفكر ـ يجمعون اليوم على أن الانسانية تعانى أزمة مأسوية

حادة بلغت درجة التساؤل حول بقاء الجنس البشري نفسه ، رغم التقدم المدهش الذى سجله الانسان ، وربما بسبب هذا التقدم نفسه الذى مكن البشر من السيطرة على المادة واعطاهم أسلحة رهيبة فتاكة فى كل المجالات من دون أن يتوازى كل ذلك مع تزكية الضمير والتشبع بالقيم العليا وبلوغ درجة دنيا من الحضارة لا بد منها ولا غنى عنها لسيطرة الانسان على نفسه وعلى العالم الخارجي وحسن التصرف فيها يتيحه له العلم والتقنية من قدرة متزايدة تفوق الخيال •

واذا نحن حصرنا مصدر القلق وحتى الخوف فى ميدان الطاقة النووية والتسابق الرهيب نحو التسلح بالقنابل الذرية والهدروجينية أدركنا أن العالم أصبح اليوم ، رغم ازدهاره المادى وتمدنه٠٠٠، على شفا جرف هار ، يؤذن بالويل والثبور ، لا فقط لأن الحرب النووية بين العمالقة وغيرهم من الدول المتوسطة الحجم التى تمكنت من صنع هذه اللعب الجهنمية، ممكنة الحدوث بمجرد أن يوسوس الشيطان لاحد الرؤساء « الكبار » ـ وهو بشر مثل سائر البشر يعتريه ما يعتريهم من الخيلاء والصلف ومركب الغرور ـ بأن الفرصة حانت للتخلص من خصمه بصورة نهائية ٠٠٠ لأن « توازن الرعب » الحالى إنما يساعد اعداءه ٠٠٠ بل كذلك لمجرد غلطة أو حادث طارىء فى الفضاء حيث تتجول الطائرات النفاثة بحمولتها المبيدة شرقا وغربا ليلا ونهارا ، وتجوب الغواصات النووية أعماق البحار بآستمرار ٠٠٠ الى جانب القوى الستراتيجية المتمركزة فى مآت القواعد البرية !

والذى يزيد من هولنا ويثير قلقنا حول قدرة الانسان ـ أو عجزه ! ـ فى الربع الاخير من القرن العشرين على التحكم فى الوضع هو ما تطالعنا به المجلات الرسمية المختصة من معلومات تستوقفنا وتدعونا الى التأمل •

ذلك أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى يملكان اليوم ما يقابل سبعمائة مليون طنا من المواد المتفجرة أى ما يعادل 50.000 قنبلة ذرية من النوع الذى دمر هيروشيما !

وإن الاموال التى صرفت سنة 1974 فى صنع الاسلحة تقدر بـ 210 مليارات من الدولارات ، أى ما يقارب تسعين مليونا من الدنانير (1) ! وهو قدر يعادل الدخل القومى للنصف المتخلف من البشرية ، ويساوى عشرين مرة كامل الاعانة التى يتفضل بها على كل الدول السائرة نحو النمو (2) •

---

(1) نصيب الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى من هذه المصاريف يقدر بستين فى المائة •

(2) راجع فى هذا الصدد العدد الخاص من مجلة اليونسكو (نوفمبر 1975) وموضوعه : ثلاثون سنة بعد الحرب العالمية الثانية •

وقد يحسن أن نلاحظ فى هذا الصدد أن البلدان العربية التى نعلم جميعا ما هى التحديات الثقافية والاقتصادية والحضارية المفروضة عليها اليوم ، تسجل ميزانيتها كل سنة زيادة معدلها عشرون بالمائة مخصصة لشراء الاسلحة وشؤون الدفاع .

وعندما ندرك أن الموارد المالية العظيمة التى ينفقها العالم فى صنع ادوات المحق والموت يتجاوز مقدارها أربع مرات ما هو مخصص للبحوث الطبية وأن أكثر من 400.000 باحث ومهندس ، أى نصف عدد الباحثين والعلماء الموجودين فى كافة أنحاء العالم ... ، متفرغون الآن الى استنباط طرق وتقنيات لجعل الاسلحة الموجودة أكثر تدميرا وأشد فتكا ونتذكر عشرات الندوات العالمية التى التأمت بجنيف وغيرها من العواصم وشارك فيها آلاف الساسة والسفراء لوضع حد للتسلح ... من دون أن تسفر عن قرار ايجابى واحد ... حق لنا أن نتساءل هل فقد الانسان رشده وهل هو واع بما ينتظره اذا هو تمادى فى هذا الاتجاه العبثى اللامعقول ...

ثم إن عوامل أخرى كثيرة سبق لنا أن أشرنا الى بعضها ، مثل تفكك عرى المجتمعات وتشتت العلاقات الاجتماعية او شعور الوحدة والعزلة الناشىء عن حياة المدن العصرية ونمط المسكن الحديث ، وإفلاس معظم الأنظمة التربوية وتفشى العنف وحيرة الشباب وإقباله على المخدرات والكحول ... ، والأزمات المذهبية وتضاؤل القيم الروحية فى بعض الأوساط ... كل ذلك أحدث جروحا بليغة ومشاكل عويصة فى مستوى الافراد والمجتمعات .

وإن آخر ما طالعناه فى هذا الصدد ملخص لبحث مرقم قامت به منظمة الصحة العالمية بالاعتماد على مجموعات من العلماء المتعددى الاختصاصات اشتغلوا فى خمس مدن كبرى هى : منريال وناقاساكى وطوكيو وطهران وبال ... ومما جاء فيه أن مائة مليون من النساء والرجال فى العالم مصابون اليوم بالانهيار العصبى وأن بلدان أوروبا الغربية تسجل يوميا ألف انتحار ، وأن 35 مليون من علب المسكنات بيعت فى صيدليات فرنسا سنة 1974 ، وأن 20 فى المائة من سكان مدينة نيورك يعانون أعراض الامراض العصبية ...

إن التأمل فى هذه المعطيات يجب أن يساعدنا على تقييم الحالة وتحليل المعطيات والنظر الى الواقع كما هو ، من دون تهويل أو عدم اكتراث ، لأن تحدى الربع الأخير لهذا القرن يتمثل ، الى جانب القضاء على الاستعمار الصهيونى والميز العنصرى ، فى قدرتنا على إعادة الروح للانسان حتى يتحكم فى نفسه ويحيى منه الجانب النبيل ويقدم على تغيير ما به .

رجاؤنا — ولا أقول أمنيتنا — أن تسجل سنة 1976 بداية الوعى والتصميم على كسب هذا الرهان الكبير الذى يكمن فيه بكل بساطة الجواب عن سؤال هملت : نكون أو لا نكون ... نحن معشر البشر !...

محمد مزالي

اللحظة الحية

شعر مصطفى الحبيب البحري

سئمتُ القهوة المرّه
سئمت الكأس
سئمت الرقصَ والألحان والألوان
سئمت الجنس
سئمت الشعرَ والفكره
تحرّرتُ
صنعتُ اليوم تاريخي لهيبا منَ شعاع الشمس
خلعت عبادة الأصنام
وفي بلدى – أقولُ وتلهبُ الحسره – :
ملايينٌ ، ملايين تردّوا في عبادة الاصنام
تمرّدتُ
وانّي اليومَ قد فجرتُ طاقاتي لهيبا من شعاع الشمس
خلعت عبادة الاوثان
لبست ملابس الميدان
حملت حقيبة الثوره

* * *

حللت اليوم بالميدان
لبست ملابس الميدان
زحفت اليك يا وطني وفي قلبي حنين الأمس
وفي روحي لهيب الشمس
حنينُ الامس يا وطني ينادينِي لأخذ الثأر
ومحوِ العار

وانّي قد عرفت اليوم معنى أن يَعيش المرءُ
لَحظات من الإيثار
وساعات وأياما وأعواما .. عرفت اليوم
لأني لمّ أعد أحيا على طاحونة السأم
لأني عشت في الميدان
وأوراقي وأقلامي وأفكاري طوتها صفحة العدم

★ ★ ★

لأني لم أعد أختار حتى خطوة القلم
عرفت اليوم معنى أن يقول الساحر الاكبر
وقد غنيت للثورة :
« غريبٌ أنت يا شاعر »
« غريبٌ حرفك الثائر »
« وأحلى منه صوت البوم والغربان اذ تنعبْ »
« فسر في دربك العاثرْ »
« ولا تعتبْ »
« لأن الحرف لا يوحي بغير الضيق والبرم »
« وغير السقم والألم »
وسرت اليك يا وطني وقد بعثرت أوراقي
وودّعْتُ الهوى والشعرَ والالحان والساقي
وسَرَتْ اليك .. من حولي
رياحُ الموت تزأر والمقابر يلهث الفأسُ
على أنقاضها الجَوْعَى ، يمزّقُها ، يعرّيها ..
غطيطُ الموتِ من حولي
غطيطُ الموتِ من جرحي
أحسّ الموت ينهشني
ولكنّي برغم الموت أزحف عبر أطواقي
وفي أعماق أعماقي

حنين الأم للولد
وملء يدى
بقايا الرّاية الشمّاء قد رويتها بدمي

* * *

يداى الشوكُ والعينان مزرعتان
من الأشلاء ، غلّفها جليدُ الدمْ
وشبّت حولها النيران
وإنّي رغم هول الموت عشت اللحظةَ الحيّهْ
خلعت عبادة الاوثان
عرفت اليوم معنى أن يعيش المرء في حمّارة الميدان
ومعنى أن يعيش اللحظة الحيّهْ
على أرض فدائيهْ

م . ح . ب

الانتحار لغويا

احمد القديدي

كنت أفكر في الموضوع حينما اكتشفت الحديث الذى خص به المفكر رفقيه اللغة ايتيانبل Etiemble مجلة لونوفل ابسرفاتور (فى عددها الصادر يوم الاثنين 15 سبتمبر 1975 ص 54) كنت أفكر فى موضوع العلاقة الجدلية الوطيدة بين الكلام أى اللغة التى يستعملها الشعب وبين سلوكه واختياراته وحالاته الاجتماعية والنفسية وبالتالى مناهجه السياسية والثقافية والتربوية ٠

كنت أفكر ــ وما ازال افكر ــ فى بساطة وسذاجة المنادين بالغاء الحوار حول اللغة وازدواجية اللغة ، وهم يعتقدون ان هذا الحوار هو من نوع الخوض فى جنس الملائكة او هو « سكانة » المثقفين و « نغناغتهم » العادية ويقولون بتجاوز هذا الحوار « للتصميم » والاستغناء عما يسمونه « القشور » لبلوغ ما يسمونه « اللب » ٠

واكتشفت حديث Etiemble ايتيانبل وهو بدون منازع إمام من أيمة الدفاع عن الكيان اللغوى والذات الفكرية للشعوب انطلاقا من دراسات عميقة فى حياة وكينونة اللسان الفرنسى ٠ هذا الحديث فتح فى وجهى ابوابا كنت اجهلها ، اما من جهة أخرى فقد ايدنى فيما كنت ومازلت اعتقده الى جانب اصدقاء يعتقدونه ايضا ، وهو ان اللغة ليست اداة تعبير ولكنها اداة حضارة ، وان اللغة ليست « حمالة » ابلاغ ولكنها صانعة ابلاغ ، فهى لا تنقل التفكير بل تؤطره وتوجهه ٠ واللغة بهذا المفهوم تصبح عاملا حاسما ــ وان لم نقل اساسيا ــ فى تحقيق اختيارات الامم على الاصعدة الاساسية والاقتصادية والثقافية ٠ نعود للمفكر الفرنسى ايتيانبل وحديثه المتفجر عن اللغة ينطلق الرجل فى هذا الموقف من قاعدة الاشعار الثقافى ، فهو يؤمن ان فرنسا معرضة لتهديد الاستعمار الثقافى الامريكى (ص 55 عمود 2) ويقول اجابة عن سؤال هذا نصه : « انتم تعتبرون الازدواج اللغوى الفرنسى الانقليزى اداة للامبريالية » ٠

يقول ايتيانبل :

« نعم هو ايضا اداة ، فانا رغم مساندتى لمجهودات مواطنى بريطانيا

الفرنسية والكورس والاكستان فى المحافظة على تراثهم المتمثل فى لغتهم ، أخشى أن يذهب بعض مناضليهم ضحية الاستراتيجية التى خطتها مركزية الاستعلامات الامريكية ، مثلما فعلت مع صقلية التى ارادت ان تحصل لها على « استقلال » عام 1944 » .

ويجيب ايتيانبل عن سؤال يتعلق بهجوم مبيت من طرف واشنطن على اللغة الفرنسية . فيقول : « لقد كنت فى الولايات المتحدة وجمعت قصاصات الصحافة التى انتعشت بما اسمته الفرنسية لغة ميتة » واثناء ملتقى « سان فرنسيسكو » قامت الولايات المتحدة بمجهودات كبرى لتفقد لغتنا مكانتها كلغة عالمية وذلك أولا لأن الفرنسيين غير محسوبين فى عداد المنتخبين ، وثانيا لأن الولايات المتحدة تنوى فرض لغتها على العالم ، وهو ما يسميه « الفرنقليزيون » الحمقى « الرقابة الامريكية » ومن أجل ذلك ينبغى لهم أن يحتقروا اللغة الفرنسية ويهدموها » .

وفى مجال الحديث عن تأطير اللغة للفكر وتوجيهه ، يضرب ايتيانبل أمثلة لذلك فيقول :

« ان الحمقى الفرنقليزيين لا يعرفون مثلا ان فعل To Control لدى الامريكان يعنى (فرض السيادة المطلقة على ..) بينما فعل Contrôler بالفرنسية يعنى راجع Vérifier . فمثلا حينما يتحدث البنتاغون عن الرقابة فهو يعنى الاستعباد . وبذلك تنزلق معانينا نحو الفرنقليزية المتسترة .. » ويتساءل الصحفى قائلا : « ولكن الامريكان ليسوا مسؤولين ! » فيجيب ايتيانبل « لكنهم مستفيدون ، اذ توجد علاقات مشاركة بين البورجوازية الفرنسية وبين الفرنقلزية » وكان السؤال الاخير هو : « هل تذهبون حتى الى الحديث عن عملية ابادة ثقافية Génocide Culturel ؟

ويجيب ايتيانبل « لا .. لان الابادة هى التحطيم المادى لشعب من الشعوب باسم العنصرية ، ولا اعتقد ان الامريكان يهدفون من خلال الفرنقليزية الى ابادة الفرنسيين ماديا .. ولكنهم يهدفون الى استعمارهم مما لا شك فيه ، **ويجب الاعتراف ان الفرنسيين يساعدونهم على ذلك ، فالبورجوازية الفرنسية اختارت ان تنحصر لغويا ، اى سياسيا ، وغدا ، ـ ما اغباها ـ اقتصاديا »**

خلاصة :

هذه جولة مع افكار ايتيانبل وتخوفاته ومواقفه، كان لا بد ان تستوقفنا ولو لحظة لاتدبر فى شأن لساننا العربى ونحن امة من امم العالم الثالث . فاذا

كانت هذه حال المفكر الفرنسى ، يقظة وحيرة ، ماذا تكون حالنا ونحن فى طفولتنا الحضارية الجديدة بعد استقلال شعوبنا السياسى والعسكرى والادارى ، لا بد ان نحتار ولو قليلا لننظر فى امر اتجاهاتنا الثقافية والتربوية ننسق فيما بينها مع التفكير المستمر فى ترقية لغتنا القومية ، لانه لا استقلال بدون شخصية ذات مقومات قوية راسخة ·

وليكن فى هذا المفكر الفرنسى لنا عبرة وموعظة ، وهو صاحب لغة تعتبر حية وعالمية ، وصل بنوها الى اعلى مراتب العرفان والعلم والتكنولوجيا ، لكنهم لم يتخلوا عن لغتهم ، ولم يترددوا فى قرع نواقيس الانذار اذا ما جف بها خطر او ألم بها خطب ·

وما اروع التقاء جوهر فكرة ايتيانبل هذه بفكرة للاستاذ محمود المسعدى جاءت فى خطاب القاه بأكرا فى نوفمبر الماضى اذ يقول :

« نحن نبدأ باستعمال لغة الطرف الآخر وننتهى الى اعتناق افكاره واحكامه والى رفض جوهرنا · ونصل فى بعض الاحيان الى انتظار حكم تصدره اوربا لفائدة اعمالنا الفنية والادبية حتى نأخذها بعين الاعتبار ·· »

وما كان اروع تحليل الاستاذ محمد مزالى فى افتتاحية عدد نوفمبر 75 من مجلة الفكر وهى بعنوان « هذه حالنا » حينما وضع اصبعه على مواطن التقهقر فى صلب الحضارة الغربية وانتفاء المواجهة الايديلوجية منها بينما لا يزال يعيش جمع من اهل الثقافة لدينا على مصبرات الافكار الغربية ومعلبات المذاهب الكاسدة فى اسواق الغرب ·

أليس الوضع الراهن يدعو لمزيد التفكير والتدبر ، لكى نقى أجيالنا هول العواصف ، باستنباط مناهج حضارية ينشأ عليها ابناؤنا معتزين بشخصيتهم محترمين لتاريخهم مستعدين للحفاظ على ذاتيتهم ، وكل ذلك دون انغلاق أو تقوقع ، فالأمم ليست فقط ما بلغته من قوة صناعية وتكنولوجية بل الأمم أيضا ما يغذى كيانها من القيم وما يميزها من المقومات الحضارية ·

أ· ق·

الفراشة والتمثال



قصة بقلم مصطفى الفارسي



الارض ربشاء وللماء فيها خرير رتيب ٠٠ والفراشة فى ثوب العرس ترتشف رحيق الزهر ارتشاف المدمن مسلمة لنسمات الربيع قلبها وجسدها فى لهفة المنتشى يطلب المزيد ولا يقنع ٠ حلمها كحلم السمك فى الماء لا يحده جدا او سياج فهى هدية النور الى النوار حب يتجدد ووصل ديمة سكون واستمرار ٠

الفراشة عاشقة النور والزهر آنت على نفسها الا تتزوج وبكى النرجس المتيم من تمنعها حتى ذباب عيناه وفسد عقله تكنه لم يغلق عليها بابا ولم يجمعه بها جماع حلال للفراشة قلب كبير فهى الهوى بجناحين ٠

قالت للنرجس فى ساعة من ساعات الانس التى تهديها للعشاق عن طواعية ٠٠٠ دون كيل ودون ميزان ٠٠

ـ أقلع عن أنانيتك المطبقة ولاتك تيم السراب فتهلك ٠٠ حبلى أنا بالنور بألوان الربيع بألحان الشجر ٠٠ وانى لأزف فى كل ليلة واند عند كل مطلع شمس ٠ ساملا الايك نسلا كريما يتلألأ فى ندى الصباح كعيون السنانير فى هذه الحلكة الداهمة ٠ أما رأيتهم يزحفون وكل خطوة من خطاهم مدك زلزال ٠٠٠ الناس يخنقون الربيع فى مثابرة وجد ليعمروا أرض العشب والازهار ويملؤوها ضجيجا وعجرفة ٠ فاملا قلبك بالربيع قبل العجاج فهو آت ولا ريب ولا تفكر فى زيجة قفص تزج بنا فيها كالنور ينتحر فى بئر ٠

واقتنع النرجس بمنطق الفراشة اقتناع الراضى بما قسم له ولم يك أول المسلمين ٠ فعشاق الفراشة كثير فى أرض الربيع ونحن فى عهد الزلازل والقواصف نبنى ونشيد ٠٠٠

قالت الفراشة :

ـ هل لنا من حياة نحياها غير هذه الساعات المعدودات نختلسها اختلاسا لنسمو بها ونشف ؟ الحب طهارة والناس اليه احوج منهم الى شهوات البطون ٠٠ لولا الحب ٠٠ لولا الحلم لتجمد فى امعائنا العسل المصفى وحتى ماء الكوثر الذى به يوعدون ٠ نحن نترشف النور ٠٠ نتذوقه ٠٠ وهم لا يشبعون ٠ لو كنت امرأة من فصيلة هؤلاء لكنت عاهرا ولأدمنت الفجور الدعارة يا خلى السعيد صنو الطهارة ٠٠ ضع هذه الحقيقة نصب عينيك واحلم بالمستحيل فى كل لحظة والا فمصيرك عندما تغشينا العتمة مصير

الملحد اذ ينتحر ٠ وانهم لينتحرون ٠٠ تطلع الى الافق ٠٠ آلاتهم دهمت الربيع ٠٠ وهم يزحفون ٠٠

واغرورقت عيناها الحالمتان بدمع سخي ساخن وكانت الفراشة على غير ما يعتقد الناس دمعة سريعة البكاء غزيرة ماء العين ٠

قالت الفراشة :

ـ لذلك ترانى أتمرغ فى فرش العشاق ٠٠ لأحب وأحيا ٠٠٠ لأثبت وجودى العابر واقهر العدم فالزمن سحاج يقشر كل شيء ٠ فلكل عاشق منى وطر وهو لا محالة خفيف مقتصر ٠ أعجل الطية لاختصار العمر ٠٠٠ ولا أميز بين العشاق قويهم والحقير ٠٠ ملوكهم والخدم ٠٠ ولا حتى بين الذكر والانثى ٠٠ نعم حتى بين هذين وقد أرادت عادات الناس ونواميسهم الخرقاء ان تفر ق بين الاجناس لتسود وترضخ الرقاب ٠ أنا للحب يا صديقى اينما كان أجده فى مخادع الملوك والرعاة والبهلوانيين والجن والسحرة على حد سواء ٠ أعطيهم ويعطون دون قيد ٠ دون شرط ٠٠ دون حساب ٠ أما هؤلاء أصحاب الخوذة والسوقاء وحملة المطارق والرفوش والمعاول ٠٠ فكل شيء عندهم له حساب مقدر أو إطار مسبق ٠ أرأيت هذه القبور الشاهقة التى تحجب الشمس وتدعس رونق الربيع ؟ عمرانهم بدعة ووهم وسعادتهم اكتضاض وضباب وغبش مستمر ٠ أحالوا أرض النور والنوار الى أزيز ووحل وغبار ٠٠ حركاتهم مجنونة ٠٠ هم عباد الظلام والهرج والنتونةونحن من طينة الطيب والسكون والشفق الخضيب ٠ دعارتنا طهارة وطهارتهم المزعومة رجس وقذارة ٠٠ فتعشقنى وعجل ٠٠ وحملنى الربيع أند الربيع ٠٠ ولنجدد الكون نملأه عناقا وحنانا ودفئا وملاطفة عسى أن ننقذ الناس مما هم فيه يعمهون ٠

وعلم النرجس ان حياته معها لن تكون على سنة اللـه والرسول وانه اذا أرغمها على الزواج منه لن يكون الا كالثور البليد يغشى اناثه ٠٠ يأخذ منها ولا يعطى ٠٠ فهو كالآلة تدك براعم الربيع ٠٠ أنانى جلف وضيع الغريزة فأحبها فى ساعات أنسها هى ولم يك ملحافا ٠

وسمع فى ارجاء الايكة ذات يوم دوى مادت لـه الارض وكسفت على اثره الشمس وفقد الشجر بعض ظله ٠ واشرأبت اعناق الازهار بأنواعها متطلعة الى الافق البعيد فصاح صائح فى أرض الربيع :

ـ انه الزلزال ٠٠ لقد ضاع وجه الافق وصلـع رأس الشمس ٠ السمـاء مرعدة مبرقة ونهارنا ليل ثقيل ٠

واستمر دوى الآلات زلزالا مبيدا يطوى الارض طيا ٠ وما من يوم يمر الا ويحجب من الشمس وجها ويقطع شعاعا ٠ ومات النوار فى أرض النوار تحت اقدام الزاحفين ٠ وأصيب النرجس بداء مكين فخبا رونقه وبرزت عظامه ٠٠ عرقته الخطوب فدال وأتت الفراشة تعوده وقد قربت ساعته فوجدته كعصف الزرع جز قبل ان يدرك ٠ فحملته بين ذراعيها وضمته الى صدرها طويلا ٠٠ وسمعته وهو يلفظ آخر أنفاسه يردد فى نغمة يائسة كئيبة :

ـ انصرفى ٠٠ انصرفى ٠٠ الجار اليك أحوج منى ٠٠ أحوج ٠٠ أحوج ٠٠ الحب الطهارة ٠٠ والحيـاة عـابرة ٠٠ مختصـرة ٠٠ مقتصـرة ٠٠ الحب ٠٠ انصرفى ٠٠ الحب ٠٠ طهارة ٠

ومات النرجس على صدر خليلته ٠٠ قرير العيـن ٠٠ نـرجسا حبيبا لا ثورا بليدا ٠

وأيقنت الفراشة ان ساعتها آتية آتية ٠ وان عليها قبل ان يفوت الفوات أن تعجل ٠٠ فحثت على أمرها تزرع بذور الحب فى حقلهـا وقد حـاطت بـه عمارات المستهجنين ممن عميت عليهم أمور الحياة فاختلفت واضطربت فتاهوا وخنقوا الربيع فاختنقوا ٠ كانت الابتسامة على ثغرها عريضة ساخرة وكان لها عند كل عاشق وقفة وعلى كل شفة قبلة ٠٠ تودع الصغيـر والكبيـر فى لهفة لم تقيدها لعلمها بان حياة الفراشات لا تنتهى بالموت وبأن السيد مهندس الحظيرة من هواة جمع الفراشات ذات الالوان الزاهية ٠ فهـو مـدمن معذور وهى النضارة والحسن زينة وزخرفا ٠

وتابعت الفراشة مسيرتها غير مبـالية وأخـذت الرحـاب تضيـق عليهـا وعمارات المدينة الصاخبة تؤطرها حتى لكأنها تطير فى بئر ٠ وقالت وقد بلغ منها الاعياء والوهن :

ـ هذه مدينة لن ينفذ اليها الربيع ولن تغمر بيوتها الشمس عندما تنتهى أشغال الحظيرة ٠

فى بيت من عمارة شاهقة وضع المهندس على مكتبه مثال البناء ليتبين مدى ما وصلت اليه الاشغال ٠ فنحنح فى تيه وسوى قامته متكبرا ولو كان له شاربان لفتلهما بين أصابعه زهوا وخيلاء ٠ وشخصت عيناه فى مربع صغير وسط المثال تحوطه العمارات الجديدة من كل الجوانب ٠٠ مساحة خضراء توشيها قبور ناصعة البياض ٠٠ فى لون النرجس فى لون الياسمين ٠٠ فى لون الطهارة ٠ لمح ذلك من خلال جناحى الفراشة قاهرة الموت بألوانها التى ظلت تحكى الربيع فى صمت وفى وداعة وأنفة ٠

فى تلك الاثناء مر بالشارع ما يشبه الجنازة ٠٠ كانت جنازة غريبة لقلة مشيعى الميت ٠٠ كأنما كان الفقيد يقود نفسه الى قبره ٠ سأل المهندس كاتبته الجميلة عن الفقيد فقالت بصوت فاتر لا لون له كأنه قطعة من جليد ٠

ـ قيل انه كان بستانيا وانه كان يقول كلاما منغما لا يفهمه الناس ٠٠ من رعاع القوم يا سيدى ٠٠ تافه ٠٠ لا شأن له ٠٠

وسكتت الكاتبة وهى تدنى من المهندس ملفا من الاوراق الملطخة بمداد مختلف الالوان ٠٠ وظلت عينا المهندس فى مثال البناء شاخصتين لا تطرفان٠ أخذ المقص وفصل الاطار الاخضر عن المثال الملطخ بدماء الازهار ٠٠ ثم غطى المربع الاخضر بقطعة من البلور الشفاف برزت من خلاله مفاتن الفراشة عروس الربيع ٠ وعلق الاطار على جدار مكتبه تحت أنبوبة كان النور الكهربائى ينبعث منها باستمرار ٠٠ وسمعته الكاتبة وهو يقترب من النافذة ذات البلور الداكن الثابت فى اطاره على الدوام : ٠٠٠ سمعته يتمتم كأنه يحدث نفسه :

ـ عاش فقيرا ومات على فقره ٠٠٠ ولد فى فجر القرن ٠٠٠ كان شاعرا ملهما ٠٠٠ من رهط من لا يموتون ٠٠٠

ثم أدار الرجل وجهه نحو الفتاة وحملق فيها طويلا وسألها :

ـ هل تحفظين بيتا من الشعر ؟

قالت وفى صوتها المرتعش خوف وتوسل ٠٠٠ :

ـ الشعر ؟ أبدا يا سيدى ٠٠٠ أبدا ٠٠٠

وسألها وهو يشير الى الاطار المعلق على الجدار :

ـ أتدرين ما اسم هذه الدابة ٠٠؟

فأجابت دون تردد :

ـ بعوضة تطير ٠٠٠ كصغار البق ٠٠٠ يتهافت في النار ٠٠٠ مجرد حشرة ٠٠٠

قال :

ـ الناس كذلك يوم البعث يموج بعضهم في بعض ٠٠٠ جراد منتشر وفراش مبثوث ٠ لو رأيتها ترفرف على النوار لايقنت أن الناس في حاجة الى الشعر ٠٠ الى الحب ٠٠ الى الربيع ٠٠ الرجل التافه الذى لا شأن له ٠٠ شاعر افترش الناس عرضه حيا ٠٠ والآن وقد أنسحب وجب ان يرفعوا له تمثالا ٠٠٠ الشاعر والفراشة من فصيلة واحدة ٠٠ يلقيان نفسهما في ضوء السراج ٠٠ ويرتفعان بالموت ٠٠ في إطار ٠٠ في تمثال « كاللحن في شفة الطيور » وسكت المهندس لحظة وعلا وجهه وجوم فزم برأسه لألم به والخواطر تتزاحم في دماغه وقال وهو يعود الى النافذة ويشرف على الشارع من خلال بلورها الثابت :

ـ لم يبق لنا بعد كل ما انجزنا الا أن نحيي الربيع ٠٠٠ ليعم هذه الربوع طرى الاعشاب وفريش النبات وما لا يقوم على ساق ٠٠ لكن ٠٠ هيهات ٠٠ هيهات ٠٠

ومرت الاعوام تترى واختنق سان المدينة الجديدة من تلوث الهواء قبل نهاية القرن ٠٠٠ قيل أصابهم وباء استوخم المساكن ووعر الناس وحبسهم عن حاجاتهم ووجهاتهم فمات الكثير وتفرق الآخرون أيدى سبا لا يلوون على شيء ٠٠٠ ولم يبق من اثر لهم سوى تمثال وفراشة وبعض الاوراق الملوثة بحبر الألم والندم ٠

م ٠ ف ٠

هلفرسوم

ليلة 10 اكتوبر 1975

توقيعات على جدار العصر

شعر مازن حجازى

(الدوحة ـ قطر)

أطـــفال

حول أسوار الحدائق أطفال يتجمعون
أقدامهم حـافية ..
وأسمالهم باليـة ..
عبروا الشوارع والازقة
بحثا عن كلمة محبة
... عن ترنيمة أم
أعطهم وردة من بستانك أيها العجوز
. . . . . .
الحفاة يلهثون بين المدن والقرى
من خليج الدنيا الى محيطها
... المدن التي أحبوها أنكرتهم
والفتيات مختبئات خلف النوافذ
أعطهم وردة من بستانك أيها العجوز

نســـاء

أنت خلف النافذة
وأنا ألوّحُ على الشرفات
قلبانا جسران امتدا بين الشرفات والنوافذ
ساحات من المحبة لا يحدها حد
. . . . . .
لماذا تنتظرين مني الاشارة

وأنا أتلوى على الشرفة
كما يتلوى منديل فر من جيب ثري
ومشى وادعا مستسلما للريح ؟

. . . . . .

لماذا تعبرين الشارع بكبرياء
وقلبي ينظم خفقاته
على وقع قدميك ، وضوضاء الرصيف ، وصهيل الباعة أمام المتاجر ؟

. . . . . .

تهربين من أمامي
تثبين الى قلبي عند كل منعطف
أنا على الطريق قادم
قلبي يرقص وجدا وفزعا
لكنني أتقدم للامام

لمـــــاذا ؟

لماذا يضحكون بمرح
وأنا أتسمر وحيدا على الارصفة
بين الازقة والموانىء الشرقية ؟

. . . . . .

لماذا لا تحملني أحلامي بعيدا ؟
لماذا تمسك الارض بقدمي
كلما هممت بالانطلاق
لماذا تفر الاجابات قبل الاسئلة
والارض من حولي بحر هائج
يحملني كل يوم الى جزيرة مجهولة

. . . . . .

مع كل حبة مطر
تبكي السماء على الارض
لماذا يا قلبي تتعلق دائما بالمستحيل ؟

. . . . .
لماذا يعود السنونو .. وابقى وحيدا
على شواطىء الحزن والمذلة

كومة أحلام

لان المدن التي لم أدخلها .. أجمل
لان الفتاة التي لم اقابلها ... أشهى
تحولت الى كومة احلام
اعبر الشوارع دون ان يراني احد
واتجول في عيون النسوة دون رقيب
. . . . .
ايتها الفرحة التي تعبر الدروب مسرعة
توقفي ليتوقف العمر الهارب
توقفي تحت ضوء اول قمر
وجردي قلبي من احزان السنين
وصرخات الضمير المثقل بالعذاب

بلا ثمن

كنت ابيع الريح للمراكب
على شواطئك الحالمة
ايتها المدينة التي لا اعرف اسمها
وفجأة اكتشفت أن البحارة لا يعرفونني
وانني ابيع بضائعي بلا ثمن
. . . . .
ايتها الشواطىء التي تجذب المراكب
العيون التي تصطاد القلوب
الفرحة التي تسكن الافق
لكم وددت أن أغفو على الشاطىء
فينساني البحارة
ويقلعون الى المدن الاخرى

ايام مجرية

بقلم : عز الدين المدني

الفجر لذيذ النسمات · اللون الأخضر على الأغصان والهضاب · قرص الشمس أحمر نارى ملتهب ، ما آنفك يتملص رويدا رويدا ، يصاعد من موجات الضباب الطافحة على وهاد مدينة بودابست ورباها ، المتشبثة بصوامع كنائسها ، المتسلقة أبراج قصورها المتكبرة ، وحصونها العنيفة ، الفائضة على بطاحها النظيفة ، وبساتينها التى يينع فيها اللهو والعشق والرياضة ·

ألوان بودابست أحلام لم تفقد أصباغها ، ولا بريق بلورها تحت وقع شمس سبتمبر · والحر شديد وثقيل حتى الأصيل · وهذا نهر الدانوب الأشخم العريض ، الأصفر ، الأخضر الداكن ، الكستنائى ، ينساب هادئا تحت جسور من الصخر والفولاذ ، أقيمت فى عهود الباروك ، والثورة ، والحداثة · وتلك البواخر البيضاء تتمايل على الضفاف ···

المجر لا بحر لها · والدانوب بحر لا ملح له ، وسمكه عذب · والعجيب أن صورته تنقلب الى صوت موسيقى طالما استمعت اليه · فحين يميل نحو سانت أندرى ، ثم يتدافع الى بلدة فيشقراد ، ليلتوى بين رباها المكللة بقصور العهد الوسيط ، وينعرج بين هضابها ومراعيها لا بد أن تتذكر موسيقى شتراوس·

* * *

التاريخ شاهد عيان فى بودابست : فى الساحات الكبرى والصغرى كذلك ، فى الشوارع الواسعة الرئيسية ، فى بعض من الأنهج الخلفية الرتيبة المتواضعة نحوت ، وتماثيل عظماء المجر من فلاحين ثوار ، وشعراء ، وعمال ثوريين ، وملوك مؤسسين ، ورؤساء قبائل نازحين ، ومقاومين فدائيين شاهرين أسلحتهم ··· وهذا المقهى أو المطعم بلفاكس منطلق ثورة سنة 1848 ما زال محتفلا فى واجهة الزجاج بآثار الاحداث الجسام ·

تاريخ الظلم مر عديد المرات ببودابست : وهو ما برح يضج فى أعماق الحافظة المجرية : القبائل الوثنية تنتصب فى منطقة من سهول أوروبا

الوسطى على ضفاف الدانوب (سوف تسمى فيما بعد : المجر) تم ذلك خلال القرن التاسع الميلادى . ثم تنصرت ــ عنوة ــ هذه القبائل النازحة ، فى عهد اشتيفان مؤسس الدولة المجرية . فضاعت ملاحم تلك القبائل ، أو حكم عليها بالاهمال ، بل بالنسيان .

الغزو التركى يجتاح البلاد ، ويستولى على بودابست فى القرن السادس عشر لتقرع سيوله فيما بعد أبواب مدينة فيانا . ويتفشى الدمار والخراب . ويجثم الغزو على المجر قرنا ونصف قرن . ماذا بقى من البصمات التركية على أرض المجر ؟ سطحيات : حمام ، وتربة فى بودابست ، منارة ومصلى فى بيتش ، وبنايات أخرى محقورة مبعثرة .

جبروت سلالة الهبزبورڤ الاجنبية تلحق المجر بالنمسا إلحاق العنف والقتل . فتصير دولة ذات رأسين . لكن الميزان يميل نحو الثقافة الجرمانية ، وينصرف عن حضارة المجر ، ومجتمعها ، وتوقها الى التقدم . ويقود الثورة على التأخر ، والاقطاع ، والظلم الملكى سنة 1848 شاعر عبقرى شاب اسمه شندور بيتوفى ، فتوقظ الافكار الحامدة الخاملة ، وتزعزع أركان الاقطاع الثقيل المتأخر ، وتكسر شوكة سلالة الهبزبورڤ التى تنطفىء بانطفاء نيران الحرب العالمية الاولى . لكن جيوش قيصر تقتل ذاك الشاعر فى زهرة شبابه .

الحرب العالمية الثانية كانت فاجعة المجر : انقسام فى الصفوف ، وتعصب قومى أعمى ، وقتل الاحرار ، والتقدميين ، ومطاردة أهل الفكر والفن . واذا بالمجر ترزح تحت الظلم النازى الى أن فتحتها جيوش السوفيات .

ومنذ سنوات ، أقرت المجر لنفسها النظام الديمقراطى الشعبى الذى أنهى عهود الظلم .

* * *

مليونان من السكان فى بودابست : خمس شعب المجر قد تجمع فى هذه العاصمة الفائضة ، المتضخمة ، المترامية الاطراف على ضفاف الدانوب . وهى فى الاصل ، مدن ثلاث : أبودا ، وبودا ، وبست ؛ لكنها صارت اليوم مصرا واحدا يستقطب أغلب شؤون السياسة ، والاقتصاد ، والثقافة فى البلاد .

البنايات الأثرية القليلة ، والرسمية المتعددة ذات أبهة هندسية ثقيلة ومزخرفة ، خشنة ومزركشة ، المدارج العريضة ، الأعمدة السميكة العالية ،

الردهات الشاسعة ، الأروقة المتفرعة والمتداخلة ، الغرف الطويلة ، الرخام الأبيض ، والأحمر ، والأخضر ، والمرمر المترف ، والأنصاب ، والنحوت ، والتماثيل ، والسقوف المنقوشة والمزينة المرتفعة • ذاك جلال عهد الباروك •

رغم سواد الجدران ، فالشوارع نيرة • رغم تزاحم المعمار ، فالفضاءات الخضراء متوفرة • وجزيرة مرقيت هي جنة أيام الآحاد ، والعطل ، والسياح • لكن آفة من آفات القرن العشرين : الاسمنت المسلح يغزو بودابست ، قلبها النابض ، وأجنحتها القاصية • ولئن كانت « الغرفتان ــ والمطبخ » أحد عناوين الديمقراطية ، فهي نتيجة حتمية للتضخم السكني مهما كانت البلاد•

كأنك في بلاد غربية • وتتذكر رحلاتك الى رومة ، وباريس ، ومونيخ ، ولندن • نفس العلامات : شعور طويلة ، لحى غزيرة ، شوارب مفتولة أو متساقطة على جنبي الشفاه ، بلودجين عريض عند الأكعاب • هذا زى كثير من الشبان ، وبدون مركبات • أما الشابات ، فالكثير منهن أيضا يلبسن الميني جوب ، والماكسي ، والبلودجين ، وفي السير رشاقة • ولا تدرى لم يستبد بلسانك بيت من الشعر القديم رغم أنك لم تردده منذ عشرين سنة : حامل الهوى تعب يستخفه الطرب ••• وألوان اللباس أمامك مشعة حية • والسلوك غير متشنج • والعين لامعة ، غير خجلة • والابتسامة ظاهرة • والعناق شديد • والقبل بين المحبين تغدق بسخاء • والأصباغ الداكنة لا يحملها إلا الشيوخ والعجائز سنا ــ وأعتقد ــ فكرا أيضا •

أوضح لي المترجم الشاب : المجتمع المجرى يحتفظ بأخلاقه العائلية ، ويستحى من الأمور الجنسية • رغم مظاهر العناق والاشتياق في الشوارع • وهي حديثة بعد كل شيء !

وسائل النقل متوفرة جدا • فاختر لك واحدة منها • اركب ، وتفرج : الاشهار الكهربائي الملون في كل مكان ، على كل مغازة ، على كل نزل ، على كل دكان • هل أنا في مجتمع الاستهلاك ؟ البضائع مكدسة • لكن نفس الأسعار موجودة وبارزة في كل متجر • والانتاج الوطني يحتل الصدارة • أما الأجنبي فهو متنوع ، ومرتفع الثمن نسبيا • على كل ، فالعرض شيء ، والطلب شيء آخر ؛ رغم الازدحام الشديد ، والوقوف في الصفوف طويلا بسبب حركة البيع البطيئة التي تسيرها الكنانيش ، والأوراق ، والفواتير ، والاقلام •••

★ ★ ★

ليل بودابست منحوت بازميل من نور • فاتجه نحو نوادى الشباب • فموسيقى البوب تضج ضجيجا • واسلك طريق المطاعم الشعبية ، فانك ستسمع نغمات التزيفان • وهل لك أن تنصت فى النزل الفخمة الى الرقصات المجرية لبرامس ؟ أما اذا دعاك المثقفون بترحيبهم الحار ، وعنايتهم الطيبة ، وضيافتهم التلقائية الى بيوتهم ، فانك ستستمع موسيقى كودالى وبيلا برتوك ، وعلى المائدة كأس من ماء الحياة •

* * *

البرنامج حافل بالزيارات والمقابلات • وأنت تحب المسرح ، وتحب الكتابة ، وتحب السينما ، وتحب فنون الرسم ، وتحب النقاش الفكرى • لكن هذا الجوع الثقافى الذى تتضور منه ، ماله لا ينصرف عنك ؟ أفلا تشبع ؟ وتروى على ذاكرتك تلك القصة الهندية التى تصور الجوع السرمدى : تاهت قافلة فى صحراء الموت أياما حتى أتت على زادها ، ومائها ، وكلابها • فتدبرت الأمر ، فلم تجد بدا من استئناف السير • فاضطربت فى المهامه أياما أخرى ؛ وكاد اليأس يقتلها لو لم يبرز لأعينها قصر شامخ فى إحدى العشايا الرطبة • فدخلت القافلة القصر متلمظة ، شارهة ، ملهوفة • واذا بصاحب القصر يقدم اليها سفرة عليها أشهى الطعام وأطيبه • فأكلت • فاستزادته • فأحضر سفرة أدسم من الأولى • فاستزادته • فأمر لها بسفرة أفخر من الثانية • وكلما أكلت ، تفاقم قرمها حتى هلكت جوعا وعطشا •

من حضارة الجوع الهندية ننتقل الى حضارة الطقوس والحروب والأساطير الأشورية •

ثلقامش عنوان مسرحية أخرجها كازيمير المخرج المجرى الشهير الذى سبق له أن قدم الى جماهير بلاده ألف ليلة وليلة وكاراكوز وخرافات صينية قديمة • وثلقامش هى من أعظم الملاحم البشرية التى تطرح قضايا الانسان الجوهرية كالحب ، والحرب ، والسلم ، ومصارعة الآلهة ، والسلطان ، وبناء الحضارة ، ومصير الانسان ، وموته وآخرته ، وتوقه الجامح الى الخلود • وثلقامش هو اسم ملك مدينة أوروك القديمة الدهرية • وهو الملك الخامس فى السلالة الملكية الاولى التى عقبت الطوفان • يقال أنه عاش على عرش أجداده طيلة مائة وسبع وعشرين سنة خلال القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد • وقد عثر الأثريون فى مكتبة الملك أشور بانيبعل على اثنتى عشرة لوحة تروى

أغلب ملحمة ثلقامش . ويرى النقاد اليوم أنها تجسم أحسن تجسيم عبقرية الفكر السامى القديم .

تناول المخرج كازيمير هذه الملحمة ، فمسرحها ، ووضع على ركح طارطا سينهاز شخصيات هذه الملحمة مثل ثلقامش ، وعشطار ، وإنكيدو ، وشمش ، وسيدورى ، وغيرها . وألبسها الملابس الأشورية . وبنى لها ديكورا طينى اللون فى ثلاثة مستويات مع مصطبين مدرجيين . واستغل كذلك أجنحة الركح ، وفاض على قاعة الجمهور . وعلى الجانب الأيمن من الركح ، وضع فرقة صغيرة من العازفين . وسلط الاضواء المتنوعة التلوين على الفضاء الركحى لخلق جو من الحلم ، والاستغراب ، والأساطير .

والمسرحية ذات فصلين . وكل فصل منها يعالج ستة أناشيد كما جاءت فى الملحمة لأن هناك وحدة فى الموضوع ، ووحدة فى تركيب الشخصيات ، مما ييسر عمل المونتاج المسرحى الذى حققه المخرج .

هذا العمل المسرحى إيجابى لا شك فيه . وهو ـ كما قال لى كازيمير ـ يهدف الى إعلام الجماهير المجرية الواسعة العريضة بالثقافات والحضارات الاجنبية وكذلك القديمة . فكأن مسرح كازيمير مسرح تكوين وتثقيف وتربية . ونحن اذا علمنا أن المواطن المجرى يتلهف على الثقافة والتثقيف ، فاننا نرى أن عمل كازيمير إيجابى وناجح لأنه استطاع أن يربط عرى الحوار بينه وبين الجماهير ، رغم أن هذا الحوار إعلامى فحسب . والعديد من مثقفى المجر يرون هذا الرأى ، فيساندون مسرح كازيمير ، ويساعدونه على إنجاز عمله الفنى . إلا أن الصحافة لا تقف منه نفس الموقف إلا قليلا . فلذلك هو محل جدال لا ينقطع ، خصوصا اذا غذتها أفكار مقننة تقول : إنه مسرح تلهية لا يحل شيئا من قضايانا !

على أن مثل هذه المسرحيات تشتمل على مخاطر فنية شتى لا يمكن أن يقع تجاوزها ـ أو بالاحرى ـ تلافيها الا ممن كانت له بصيرة فنية نافذة .

أحرجتنى هذه المسرحية إحراجا شديدا ، أحرجتنى فى استغلال الفنيات : فلم هذه الفرقة الموسيقية البارزة على الجانب الأيمن من الركح ؟ فهل يخدم حضورها الحركة الدرامية ؟ ولم هذه الألوان الكثيرة التى تتزاحم على الفضاء الركحى ، حتى صارت ـ بحكم استعمالها الثقيل ـ أشبه شىء بأضواء

الكاباريات ؟ ولم هذا الفيضان على قاعة المتفرجين فى المشى الايمن والممشى الأيسر ؟ هل هو مستعمل ليقول النقاد أن المخرج يتقن الأدوات المسرحية الحديثة ؟ والذى أحرجنى أكثر ، هو هذا الديكور الثقيل الذى يشبه الى حد كبير ديكور أفلام سيسيل ب دى ميل الاميريكية وفلم سارق بغداد وفلم على بابا والاربعون حرامى ، أضف الى ذلك هذه الرقصات النسائية التى لا مبرر لها فى مثل هذه المسرحية ٠

هذه المسرحية هى مسرحية طقوس بالدرجة الاولى ، لذلك ينبغى توخى البساطة مع الدقة الصارمة فى تركيب الشخصيات ، وتصميم الديكور ، ونحت الحركات والاشارات ، وضبط الاضواء ، وانتقاء الموسيقى ، حتى تكون المسرحية حفلا طقوسيا بالمعنى الدينى للكلمة ، لا عملا تقريبيا كما يعرف فى مسرح البولفار ، أو المسرحيات التلفزية الرخيصة من النوع اللبنانى والمصرى ، مع الأسف !

البساطة مع الدقة الصارمة هما اللتان تكفلان إيصال الشحنة الملحمية الكامنة فى هذه المسرحية الى الجمهور ، وهما اللتان تضمنان إبلاغ القضايا الانسانية الجوهرية الى المتفرجين الراغبين فى التكوين والتثقيف حتى يكون الخطاب المسرحى ــ فى نهاية الامر ــ خطابا مباشرا ، حيا ، ناريا متقدا ، ذلك أن الفن لا يحتمل الحلول المنقوصة ٠

وتمتاز مسرحية فلقامش ثانية بخروج كازيمير عن الطرق المسرحية المعبدة المجترة ، وبالخروج عليها كذلك ؛ كطريقة بريشت التى يلجأ اليها اليوم كل من هب ودب من قريب ومن بعيد ، لطبخ مسرحية أيا كان موضوعها ، ومهما كانت فنياتها ، وذلك باستعمال توابل التغريب ، وأبزار التلقين الضحل فى السياسة والاقتصاد ، فيصير ذاك الطبخ شكشوكة مسرحية ! واللوم ليس على بريشت بالطبع ، وانما على أولئك الذين ليس لهم خيال ، ولا عزيمة على الابتكار ، ولا نظرة شخصية الى الفن ، والى الحياة ، والى الكون ؛ وباختصار ليس لديهم ما يقولون ٠٠٠

وإنى أحيى كازيمير فى سعيه المسرحى من أجل فتح أبواب الخيال ٠

* * *

الوجه الآخر لهذه المشكلة قد تمثل فى مسرحية البخيل لموليار التى شاهدتها فى المسرح الخامس والعشرين ببودابست ٠

عالج المخرج هذه المسرحية الكلاسيكية معالجة بريشتية • فتصور ـ طبقا لما جاء فى النص الذى بين يديه ـ أن سكان إحدى القرى المجرية اعتزموا فى منتصف السنوات الاربعين (التى تصادف قيام النظام الديمقراطى الشعبى فى المجر) تقديم البخيل لموليار الى الجمهور • لكن صعوبات خارجة عن نطاقهم حالت دون عرضها • وهى تتمثل فى موقف إيديولوجى يرى استحالة وجود بخيل بورجوازى فى مجتمع يطمح بكل قواه الى العدالة الاجتماعية ، والى الازدهار الاقتصادى ، والى إصدار عملة قوية تستطيع أن تواجه التضخم المالى الذى خلفه النظام السابق • فيتوقف سكان القرية ، وتكاد تنتهى المسرحية قبل ختامها • إلا أن أحد ممثلى الشعب المجرى يتدخل فى العرض ، ويعلن للسكان أن الحكومة ستصدر قريبا عملة جديدة إسمها « فورين » للقضاء على الاوضاع المالية الفاسدة ، فيفرح السكان بهذا النبا ، وينشدون نشيد الثورة المجرية •

هذه المسرحية خليط توفيقى بين ثلاثة أساليب متباينة فى مستوى المعالجة الفنية وكذلك الايديولوجية • فأصل البخيل كلاسيكى (صفة تركيب شخصية البخيل وعلاقتها بالشخصيات الاخرى فى سائر المواقف) واقتباسها بريشتى (صفة تقديم العرض من قبل سكان القرية حتى يحصل عنصر التغريب المطلوب) ونظرتها الايديولوجية التى تشبه الى حد كبير النظرية الجدانوفية فى الادب والفن بل تتطابق معها (نفى شخصية البخيل السلبية ، وتعويضها بالعناصر الايجابية ، ولا سيما بالدعاية الاقتصادية ـ ولو كانت هذه الدعاية حقيقة الواقع فى مرحلتها التاريخية المعينة) •

الخلاصة أنك لا تشاهد مسرحية البخيل فى المسرح الخامس والعشرين ببودابست ، كما سبق لك أن شاهدتها لدى المحافظين أو رواد الطليعة فى المسرح العالمى ، بل انك تشاهد قراءتين إيديولوجيتين أعتقد أنهما لا تنسجمان للاسباب التالية :

نحن نعلم أن بريشت قد أثرى مسرح شكسبير ، وأغدق على المسرح الكلاسيكى والرومنسى صبغة الحداثة • كما أن المخرجين التقدميين المتشبعين ببريشت قد أثروا ـ هم بدورهم ـ راسين وكورناى وموليار وشكسبير وشلر وكلايست وڤولدونى ولوفى دى فيڤا واليخندو كاسونا والفريد دى موسى وغيرهم ، لأنهم قرأوا مؤلفيهم قراءة خلاقة مكنتهم من إحياء النص القديم بالاستدلال السياسى والاقتصادى والثقافى والحضارى القديم ،

وبتشريك الجمهور فى معالجة القضايا المطروحة على الركح فكان الاثراء المسرحى المأمول • أما جدانوف ، فهو نفى مطلق لاعمال المسرح الكلاسيكى والمسرح الرومنسى والمسرح البريشتى كذلك • لأنه يدعو الى تركيب البطل الايجابى ، والى هندسة الارواح والنفوس ، والى الدعاية السياسية والاقتصادية المباشرة • ولان أنواع تلك المسارح تعالج الاشكال الانسانى برمته من نفس واجتماع وسياسة واقتصاد وحضارة • فأين مكان البطل الايجابى فى هذا الاشكال ؟ فشتان ما بين الدعوة الدعائية وإشكال الواقع الانسانى • فلهذا لا ينسجم جدانوف مع بريشت ، ولا مع موليار ، ولا مع شكسبير ، ولا مع أى كاتب أو مخرج يحترم فنه ، ويقدر الجمهور حق قدره• رحم الله جدانوف ، وغفر له •

* * *

قالت لى صاحبة البيت بصوت رقيق مرتعش :

ـ : من تونس ؟!• وهل بلادك جميلة ؟

أجابها عوضا عنى فورا الكاتب هوباى الذى زار تونس والحمامات ومسرحها الدائرى فى الهواء الطلق ، خلال السنة الماضية •

ـ : جميلة ، وفوق الجمال !

كنا صامتين صمت الخشوع ، فلا نتكلم إلا قليلا وهمسا • وأنا لا أدرى الآن لم كنا نصمت حينا ونهمس أحيانا • أكنا كالمريدين المقبلين على هياكل العبادة ؟ أم كنا معجبين أو لعلنا كنا مندهشين أمام اللوحات الزيتية التى يحفظها هذا البيت المضياف ؟

نظم هذه الزيارة الفنية الكاتب المسرحى المجرى هوباى فى إحدى عشايا بودابست الساخنة • وكان جمعنا الصغير يتألف من السيدة جوديت هورفات نائبة مدير معهد العلاقات الثقافية المجرية مع الخارج ، وأحد زملائها فى المعهد ، والمترجم الشاب ، وكذلك من صديقين للكاتب ؛ الاول : رجل قد تجاوز الخمسين فيما يبدو ، أشيب الشعر ، يتكلم الانكليزية ، والثانى : امرأة شابة على ملامحها ، ونحافتها ، ورشاقتها سمات نساء الفياتنام ، أو هكذا خيل لى • كانت تحمل معها باقة أزهار أهدتها الى هذه المرأة العجوز ـ صاحبة البيت ـ التى تصون ـ بعد وفاة زوجها ـ لوحات لأكبر رسام مجرى : تشونفارى •

ولد طيفادار تشونفارى كوستكا سنة 1853 . وكان أول أمره يشتغل صيدلانيا ببلدة ثاتش . ولما قارب الخمسين من العمر ، أتاه « الوحى » . فأمره بأن يرسم وتنبأ له بأن الرسم سيكون هدف حياته . فنفض الصيدلة من بين يديه ، وقصد ألمانيا ، وهناك درس فنى التصوير والرسم . فبعد أن تمكن منهما ، وتمكنا منه جاب البلاد . فرحل الى الشرق العربى . وزار لبنان ، ولا سيما القدس ، وأقام بهما ردحا من الزمن . ثم عاد الى بلاده . فنبذته أسرته شر النبذ . فتقلب فى الشقاء ، وتضور من البؤس ، الى أن مات سنة 1919 .

أنتج تشونفارى عشرات اللوحات الزيتية ، لكن أسرته لم تتفطن الى قيمتها الفنية . فأعلنت أنها ستبيع بالمزاد العلنى قماش اللوحات ظنا منها أنه يمكن أن يكون شكائر وأغلفة أو نحو ذلك . وحضر أحد المهندسين المعماريين هذا المزاد العلنى . فما كان منه إلا أن اندهش أمام اللوحات ، فاشتراها جميعا ، وهو يسخر فى قرارة نفسه من هذه الأسرة التى تريد أن تتخلص من أعمال فنية نابغة . وهذا المهندس المعمارى هو زوج المرأة العجوز صاحبة البيت المضياف . وهذا المهندس هو الذى كرس جهود حياته فى سبيل التعريف بهذا الرسام النابغة .

لا بد أن صواعق التصوف قد أصابت هذا الرسام . فهذه اللوحة العظيمة أمامى تحتل مساحة الجدار بأكملها . وهى تمثل شجرة وحيدة عظيمة من شجر الأرز . ولعلها تمثل شجرة وحشية ، فظيعة المنظر ، رهيبة الوحدة ، مريعة العزلة بين هذه الطبيعة المحيطة بها . فالجذع منفلق ، والجذل كصدر إنسان صابر ومتوجع ، والأغصان عارية مشوكة حادة كذراع إنسان يسأل النجدة . والرياح الهوجاء تمور فى فضاء الكون . ورأس الشجرة صامد . وعند أسفل الشجرة فرسان وخيول وحشية من بينها فرسان . الاولى بيضاء والثانية سوداء . وهما متواكبتان .

وحين يتأمل الزائر للمرة الثانية فى هذه اللوحة يلاحظ أن سيوفا حادة قد طعنت صدر الشجرة وأيديها . فهل هذه الشجرة هى المسيح ؟ أم هل هى الرسام كما يتصور نفسه ؟ على أن عصفورا أو عصفورين يعتليان أحد الأغصان العالية . فكأنه أمل وكأنه تمن أيضا . لكن ما هو تفسير تلك الفرس البيضاء وتلك الفرس السوداء ؟ ولم جعل الرسام هؤلاء الفرسان بخيلهم الوحشية فى صغر الأقزام عند جذع الشجرة ، بينما جعل الشجرة

رهيبة العظمة ؟ وهذه الألوان غير المشرقة : الأخضر الداكـن ، الكستنائى الملطخ ، الأبيض الضارب الى الأشخم إلخ ٠٠٠ ألوان توحى بالأسى ٠ لكـن ـ رغم ذلك ـ لا ينصرف الزائر عن اللوحة ، ولا يشبع من إدمان النظر فيها ـ كلا وأجزاء ـ بل كلما زاد يتأمل ويعيد مثنى وثلاث ورباع ، زاد تعلقا بها٠ فكأن فيها أعماقا بشرية لا تسبر ٠

اعترفت الحكومة بهذا الرسام النابغة بفضل جهود المهنـدس المعمـارى ٠ فأقامت له معارض ٠ وأكرمته بعرض عدد من لوحاته فى الرواق الـوطنى ٠ وخصصت له متحفا بمدينة بيتش الواقعة بجنوب المجر ٠ أمـا دار كوفينـا للنشر فقد أصدرت كتابا ضخما جمعت فيه نسخـا للوحاتـه مـع تحليـل مستفيض لفنه ٠

* * *

قصدت متحف تشونفارى حالما وصلت الى مـدينة بيتش التى تبعـد عن بودابست بنحو مائتى كيلومتر ٠

على الجدار اليمينى من قاعة المتحف لوحة ضخمة احتلت كافة المسـاحة ٠ وهى تمثل بعلبك ٠ نفس الاحساس بالنسبة لهذه اللوحة أيضا : الاندهاش٠

لوحات تشونفارى لا يمكن أن توصف بالجمال ، بل بالهـول ٠ اللـوحة متركبة من ثلاثة مستويات المستوى الاول : الآثـار الرومـانية البـاقية فى بعلبك ، ظاهرة ، بارزة ، مصطفة ، منحوتة ٠ المستوى الثانى : دور عـربية بطوابقها الاولى ، أو بأسقفها الواطئة ، متناسقة بعض التناسق ٠ المستوى الثالث : أكواخ ، وأكوام من الحجارة ، وأنقاض آثار ، وبدو رحـل ، ونخيـل باسق ، والكل متداخل ٠

التأمل الثانى فى اللوحة يبرز لك أمرا خفيا : صراعا حضاريا ضاريـا ٠ فالآثار القديمة بجلالها ، وهيبتها ، وثقلها تسحق ما جاء تحتهـا من المعمـار المعاصر (لنا) نسبيا ٠ وهذا المعمار المتناسق يسحق الاكـواخ ، والاكـوام ، والانقاض ، والبدو الرحل ٠

التأمل الثالث فى اللوحة يوحى لك بأن مدينة بعلبك رغم فقرها أو بفقرها وحداثتها تحمل على رأسها هذه الاعمدة الرومانية الفاخرة ، كما يحمل فقير تاجا ملكيا مرصعا بالحجارة الكريمة ٠

هذه اللوحة ثرية المعانى كسائر لوحات هذا الرسام الذى اتهم بالسذاجة حينا ، وبالتصوف المشعوذ حينا آخر ، وبشىء من الجنون أحيانا ٠

أعتقد أن هذا الرسام لا يشبه الرسام « الساذج » دووانيي روسو ، ولا حتى الرسام العبقرى المجنون فان ثـوف ٠ إذ نـلاحظ فى أغلب لوحـاته كالقدس ، والمبكى ، والسيدة العذراء ، وشجرة الارز ، وتريمونيا ، والرجل المغربى ، وغيرها نظرة فنية منسجمة موحدة فردية تستخدم الرمز فى أكثر من موطن ، وبالخصوص الرمز المغلق الذى يحتمل عديد التأويلات ، والكثير من المعانى ، والغزارة فى المقاصد ، مع الدقة فى رسم الجزئيات ، ومقـابلة التناقضات كتلك اللوحة الرائعة التى قابل فيها الطبيعة الجيولوجية الهائجة الحائرة بالطبيعة الربيعية الهادئة المطمئنة ٠

* * *

فى المجر حركة رسم جد نشيطة وثرية ٠ ففضلا عن المتاحف الوطنية التى تحتضن أعمال كبار الرسامين القدامى من ايطاليين ، وإسبان ، وفرنسيين ، وهولنديين ، وألمان ، فقد برز رسامون نوابغ شاركـوا مشاركـة فعـالة فى حركة الرسم العالمى ، ومن بينهم فاشاريلى رائد اتجاه السيناتيسم فى العالم اليوم ٠ وقد عرض رواق يحيى البلدى بتونس العاصمة منذ سنتين عـددا من أعمال هذا الرسام ٠

كما توجد فى المجر حركة نحت ٠ إذ انتظمت ببودابست فى أواخر شهـر سبتمبر الماضى البيانال الخاصة بالنحت الصغير ، التى لاقت نجاحا جماهيريا كبيرا ٠ وقد شارك عدد من الـدول فى هـذه التظـاهرة الفنيـة الكبـرى كالولايات المتحدة الامريكية ، وفرنسا ، والاتحاد السوفياتى ، ويوغسلافيا ، واستراليا ، وبلغاريا ، وبولونيا ، وبلجيكا ، وهولندا ، والمانيا ، واليابان٠٠٠ وبقيت مكانة تونس فى هذه البيانال شاغرة ٠

هناك مدن تذكرك بمدن أخرى دائما ٠
فسانت أندرى هى سيدى بو سعيد المجر ٠
وأصيلة هى سيدى بو سعيد المغرب الأقصى ٠
أجيال وعهود تتظافر فى سبيل خلق مدنية فنية ٠

فسانت أندرى التى تبعد عن بودابست بعشرين كيلومترا تتسلق ربوة ، وتشرف على نهر الدانوب ، كما تشرف سيدى بو سعيد على البحر الابيض

المتوسط ، وأصيلة على المحيط الاطلسى ٠ فالأنهج ضيقة ، والزقاق ملتو ، والارض مبلطة ، والبيوت تقليدية البناء ٠ والقصور ذات طابع معمارى محبب الى النفس ٠ والبساتين ملأى بالاشجار العظيمة ٠ وعلى شرفات النوافذ أزهار العطرشية ٠

تتوسط سانت أندرى ساحة كبرى ، يستغلها رجال المسرح فى الصيف لتقديم عروضهم ٠

بها أيضا محلات لبيع منتوجات الصناعات التقليدية الثمينة ، والتحف ، والأثاث ، وأخرى لبيع الخمر المعتقة ، وبها كذلك متاحف تحتفظ بالفنون التشكيلية ٠

وسانت أندرى هى موطن فنانى المجر ، وملاذهم المختار ٠

بهذه المناسبة زرت متحف مرثيت كوفاتش ٠ ومرثيت كوفاتش أسم الخزافة المجرية الشهيرة ٠ فى هذا المتحف عالم عجيب ٠ بفضل الطين والنار ، استطاعت مرثيت كوفاتش أن ترتقى بحرفة الخزف البسيطة الى مصاف الفنون الكبرى ٠ فجعلته نحتا قائما بذاته ، ينافس نحوت الحجر ، والرخام ، والمرمر ، بالاضافة الى قيمة الزينة التى يتضمنها ، مع الدقة والاحساس الحاد ، وبصفة عامة ، مع جودة التعبير ٠

عالجت مرثيت كوفاتش الكثير من المواضيع والمنازل الانسانية القارة ، كالشباب والطفولة والشيخوخة ، الولادة والموت ، النشيد والنواح ، الأعراس ومواكب الجنائز ، الفلاح المثابر والحرفى المجتهد ، الفارس النبيل والجندى الأجوف ، الملك الطيب والساحر المشعوذ الخ ٠٠٠

أعجبتنى قطعتان من الخزف فى هذا المتحف :

خمس نساء ، فتيات وعجائز ينتظرن عودة رجالهن من الصيد ٠ وعلى وجوههن ، وأيديهن ، ووقفتهن علامات الصبر ، والحيرة ، والقلق ، والخوف ، والحنان ٠

مجموعة من الرعاة يتوكأون على العصى ، وهم يشرئبون بأعناقهم وينظرون الى أين بعيونهم الزرقاء اللازوردية ؟ الى أغنامهم ؟ الى كل ما يحيط بهم ؟ الى الأفق ؟ الى الله ؟ الى الفراغ ؟ أو الى نفوسهم متأملين ؟

* * *

كانت الجلسة مع السيد تيمار كاتب عام بان كلوب المجر ممتعة جدا . فهذا الرجل المثقف الكاتب هو دينامو الادب المجرى الحديث ، وهو المعرف به وبرجاله على الصعيد العالمى .

وحق للمجر أن تؤسس بان كلوب لتربط عرى الحوار مع العالم . وحق لها أيضا أن تضع على رأس هذه المؤسسة الادبية القوية رجلا نشيطا كالسيد تيمار .

لغة المجر لغة يتيمة فى العالم . فليس هى من شعبة اللغات اللاتينية ، ولا شعبة اللغات السامية ، ولا شعبة اللغات السلافية . بل ، قد تكون لها شبه علاقة بعيدة بلغة فنلندا . فهى إذن لغة ذات انتشار دولى محدود ، ومحدود جدا إذ لا يتكلمها إلا قرابة عشرين مليونا .

أما أدب هذه اللغة اليتيمة فهو زاخر ، وقوى ، وذو نبوغ لا شك فيه . فله من الكتاب ، والشعراء ، والمسرحيين ما ينافس أدب أية بلاد راقية أخرى ، وما يجعله يتبوأ مكانا مفضلا فى الصدارة العالمية اليوم .

فمن منا لا يعرف الناقد جورج لوكاتش ، والكاتب الروائى تيبور ديرى ، والشاعر جوليا إياش ؟

ولعل الشعر هو الذى يحتل المكان الاول فى الادب المجرى قديما وحديثا ، بفضل هذه اللغة المطواعة ، بسبب مرونة صرفها ، واختصار نحوها ، وبساطة تركيبها . فالكلمة الواحدة اذا ألحقت بها لاحقا أولا ثم ثانيا ربما تجعل منها جملة مفيدة . لذلك كانت لغة المجر شعرية بالدرجة الاولى ، فالشعر هو تشويش فنى للمفردات .

للمجر شعراء نوابغ كبار . أذكر من بينهم شندور بيتوفى الذى قال : « من يسيطر على السياسة فقد سيطر على الشعر » .

قد يكون شندور بيتوفى أكبر شاعر مجرى الى اليوم . فلقد عاش فى بداية القرن التاسع عشر . وخلف أعمالا شعرية بالغة الاهمية . ولقد بدأ حياته الشعرية رومنسيا متشبعا بأجور آثار الرومنسيين الفرنسيين والالمان والانكليز ونقل بعضها الى لغته القومية . ثم انقلب ثوريا بايقاد ثورة 1848.

لقد أحببت هذا الشاعر لأنى وجدت فيه بعض ملامح أبى القاسم الشابى . فكلا الشاعرين ، عاش شابا طوال حياته ، ومات شابا . وكلاهما بدأ

رومنسيا وانتهى مناضلا ، وكلاهما ذو حساسية مرهفة ، وفكر متوقد ، وعزيمة قوية ٠

والغريب أن هذا الشاعر النابغة لم يحظ الى اليوم بترجمة عربية جيدة ٠ إذ الموجود بين آيدينا الآن ترجمة عربية ساقطة خربشها أحد الشعارير المصريين ٠

كما أنه من الغريب أن يبقى أبو القاسم الشابى غير مترجم الى لغة المجر إطلاقا ، بينما دار « أوروبا » الكبرى للنشر تعرفه ، وقد ترجمت أعمال نوابغ العالم واصدرتها فى مئات الآلاف من النسخ !

وللمجر أيضا كتاب كبار فى القصة والرواية ٠ لكن عددهم فيما يبدو أقل من عدد الشعراء ، وانتاجهم أقل كذلك ٠

على أن هناك تيبور ديرى (الذى ترجمت له مجلة الفكر منذ سنوات احدى قصصه القصيرة بقلم محمد العربى عبد الرزاق) وهو من أكابر الروائيين بالاضافة الى سيسمون موريز صاحب رواية « الأسرة » وهو أهم ممثل للاتجاه الواقعى النقدى فى الادب المجرى الحديث ، كذلك ناجاى لايوش ، وسيبيرنيى ليهيل ٠

والصنف الثالث هو كتاب المسرح ٠ لكن عددهم قليل جدا اليوم ، قرأت لأثنين منهم أخيرا ٠ الاول اسمه هوباى وهو الرجل الفنان الذى نظم تلك الزيارة التى تحدثت عنها فى الصفحات السابقة ٠

قرأت له مسرحية جيدة عنوانها « أبو الهول » وهى تشهد لهذا الفنان بالمقدرة فى الكتابة المسرحية ٠ وهى وإن كانت تعالج إحدى مشكلات الميثولوجيا اليونانية (وهى مشكلة أوديب الملك) فهى تتسم بهذا الاتجاه المصطلح عليه فى المجر بالفظاعة الساخرة (Le grotesque) ٠

كما قرأت مسرحية « الحمام » للكاتب جورجاى ڤابور ٠ وهى ذات فصل واحد ٠ وتروى قصة عرف ، وقلفة ، وصانع يشتغلون باعداد حمام واصلاحه وتجهيزه بالصنابير ، والحلاقم ، والاجعاب ، والانابيب ٠ وكل شخص فى هذه المسرحية كأنه يشتغل بمفرده ٠ فالعرف يتلقى الاوامر وينفذها ويدير الاشغال ، والقلفة ينافق ويسب ويشتم ، والصانع يحلم ، ويتمنى ٠ وبعد حين تنتهى الاشغال ٠ ونسمع صوتا فى آخر المسرحية يقول أن الحمام جاهز الآن لاستقبال المحكوم عليه بالاعدام بالغاز !

والمسرحية مركبة كقصص تشيخوف القصيرة • إذ لا يشعر القارىء (أو المتفرج) أن الموضوع الذى يتحدث عنه الكاتب فى معظم المسرحية ليس هو بالموضوع الاساسى ، بل هو تعلة بسيطة لبلوغ ما يريد أن يقوله الكاتب ، إذ « القفلة » هى التى تعنى كل شىء •

وأغلب الظن عندى أن هذه المسرحية الجيدة تنتمى هى أيضا لاتجاه الفظاعة الساخرة ، لانه من الفظاعة ألا ينتبه الاشخاص الثلاثة الى أن الحمام ليس إلا مكانا لاعدام الناس بالغاز • ومن السخرية بالمنزلة الانسانية الشقية أن يعتقد الاشخاص فى جدوى عملهم وأن يقنعنا اعتقادهم بفعالية جهودهم • لكن الخاتمة المسرحية توقظنا ، وتفزعنا ، وتجعلنا نرتاب فى كل شىء !

هذا الأدب المجرى الثرى الذى لم أعرف منه إلا عددا قليلا من المؤلفات لا بد له من رئة ثانية يتنفس بها • ذلك هو تفكير المجر ، ولا سيما مؤسسة البان كلوب التى ينشطها السيد تيمار • والرئة التى أعنيها هنا هى الترجمة ، ترجمة الاعمال الفكرية والفنية المجرية الى اللغات العالمية كالانكليزية ، والالمانية ، والفرنسية ، والاسبانية ، والروسية ، وغيرها • وقد شجعت الحكومة المجرية هذه المؤسسة ، ورصدت لها أموالا طائلة •

النشاط الادبى المجرى قوى جدا • ففى بودابست تصدر مجلات عديدة • أولها مجلة البان كلوب وهى تعنى بترجمة الاعمال الادبية المجرية الى اللغات العالمية • الثانية هى أكثر من مجلة ، بل هى رزنامة شعرية واسمها آريون حيث يتلاقى الشعراء من جميع آفاق الدنيا • ومن المؤسف انه لا وجود لاى شاعر عربى ! وثمة مجلة ثالثة مختصة بترجمة الاعمال الفكرية والفنية العالمية الى اللغة المجرية • بالاضافة الى جريدة ثقافية اسبوعية تصدر يوم الجمعة • وهى تغطى جميع الانشطة الثقافية فى بودابست ، مع نشر قصة وقصائد وعروض نقدية عن الكتب ومعارض الرسم والسينما والمسرح •

شعب المجر شعب قارىء ؛ يحب المطالعة ، ويقتنى أثمن الكتب • فدار « أوروبا » للنشر — وهى دار كبرى — متخصصة فى ترجمة أعمال أعلام الادب فى العالم قديما وحديثا • وإنك تجد فى دليلها ڤـات ، وشكسبير ، وهوڤو ، وشيللر ، وبيرانديلو ، وبودلير ، وسيرفانتاس ، وغيرهم • لكن حين تبحث عن تأليف عربى فلا تظفر الا « بأيام » طه حسين ، ومجموعة قصص مغربية •...

إن كل تاليف يطبع فى هذه الدار بعشرات الآلاف من النسخ حتى يبلغ أحيانا مائة وثمانين ألف نسخة ! زيادة على ان كل تاليف يطبع على ورق « بيبل » ! ولا يباع أكثر من دينار واحد !

هذه الارقام خيالية فى مجال النشر فى العالم العربى . وكذلك فى العالم الغربى الاوروبى !

ويعتزم البان كلوب المجرى إقامة معرض فى باريس ليطلع المواطنين الفرنسيين على أن كتابهم يحظون بالمطالعة والقراءة من طرف قراء المجر ، أكثر مما يحظون به فى بلادهم .

أما دار « كورفينا » ـ وهى دار كبرى أيضا ـ فهى تعنى بتصدير الادب المجرى القديم والحديث الى العالم عن طريق ترجمتها الى اللغات العالمية . كما تعنى أيضا بنشر الكتب الفنية المتعلقة بالفنون التشكيلية المجرية والدولية.

ولهذه الدار نشر متقن وفنى جيد . وتطبع كل تاليف فيما لا يقل عن عشرة آلاف نسخة .

بالاضافة الى هذين الدارين الكبيرتين ، ثمة دور أخرى ، وكل منها فى ميدان ، كهذه الدار التى لا تنشر إلا الروايات البوليسية !

وللكتاب المجريين مؤسسات تدافع عن حقوقهم المادية والمعنوية . مثل هذه المؤسسة التى تشبه جمعية حقوق المؤلفين فى تونس . لكن دور المؤسسة المجرية أشمل إذ هى تجمع كافة المنتجين فى ميادين الآداب والفنون على اختلاف أصنافهم ، وهى التى تدفع لهم حقوقهم المادية بعد ترويج أعمالهم فى النشر ، والتوزيع ، والاذاعة ، والتلفزة ، والاسطوانة ، والمجلات ، والمسارح ، داخل المجر وخارجها .

ولا يفوتنى أن أذكر هذه المؤسسة اقترحت فى المؤتمر العالمى لحقوق التأليف أن تقدم يد المساعدة الى البلدان السائرة فى طريق النمو فى مجال استغلال الآداب العالمية بالترجمة ، والترويج الاذاعى والتلفزى والركحى . ومن المعلوم ان المؤتمر صادق على هذا الاقتراح المجرى الايجابى.

وثمة مؤسسة ثانية لها دور كبير وحاسم فى إخصاب الادب المجرى الحديث . وهى اتحاد الكتاب المجريين الذى يستقطب أكثر من مائة عضو فى بودابست وحدها . وقوانينه الاساسية والداخلية تشبه قوانين اتحاد الكتاب التونسيين الاساسية منها والداخلية . لكن يضاف اليها . ان اتحاد الكتاب المجريين يساعد أعضاءه ـ فى حدوده إمكانياته المتواضعة ـ بمنح عدد قليل

منهم منحا مالية يتمكنون بها من انجاز عمل أدبي أو بالسعي الحثيث الى مؤازرة حياتهم المادية ٠

إن أغلب كتاب المجر هم من الموظفين ومن سلك التعليم ، وإن أقلهم هم من المحترفين للكتابة والادب ٠ وهم الذين استطاعوا أن يكونوا لأنفسهم شهرة قوية لدى القراء ، فيعيشون من واردات أعمالهم ٠

لقد صرح لي جميع من استطعت الاتصال به في هذه المؤسسات انهم يرغبون كل الرغبة في التعاون مع المؤسسات المماثلة في تونس ، وكذلك مع الكتاب والفنانين ٠

وبمناسبة نشر هذه « الأيام » ألفت نظر المسؤولين عن دور النشر التونسية ان لهم فائدة كبرى في التعاون الجدي مع زملائهم المجريين ، لأن الكتاب التونسي ، والكاتب التونسي هما في حاجة ماسة الى التعريف والترويج ٠ كما ان الكتاب المجري والكاتب المجري هما في مرتبة يسمح لهما بفضلها بالتعريف بهما في تونس ، ومن تونس في اقطار العروبة ٠

* * *

السيارة تعدو على مقربة من ضفة نهر الدانوب ، بين الحقول الخضراء ، والمناظر الطبيعية الهادئة ، والفلاحين العاملين تحت وهج الشمس ٠ لقد دعاني كوفاتش المخرج السينمائي الى حضور تصوير مشهد من شريطه الأخير ٠٠٠

في الأيام الأولى من إقامتي ببودابست تمكنت من مشاهدة عدد من أفلامه التي عرضت ضمن « أسبوع » خاص به ، في قاعة بانياش ٠ أعجبتني جميع أفلامه ٠ على أني اذا أردت أن أختار منها واحدا ، فهو بدون شك « أيام الصقيع » الذي لم يعرض ـ مع الأسف ـ خلال الاسبوع السينمائي المجري الاخير الذي أقيم بتونس ٠

كوفاتش صاحب باع فني قوي ، وذو تفكير ايديولوجي معارض ، لكن معارضته هي داخل الصفوف كما يقول ذلك كوفاتش بنفسه ٠

و « أيام الصقيع » يروي قصة الشرذمة من الفاشيست المجريين الذين اعدموا اخوانهم في الوطن أيام الحرب العالمية الثانية ٠

وكانت معالجة هذا الفلم فنية ودقيقة الشكل ، واقعية الاتجاه ، مباشرة الخطاب لا التواء فيه ، ولا مراضاة للمتفرج ، ولا تملق لمشاعره ولافكاره مهما كانت ٠ واعتقد ان كوفاتش الذي يلاقي معارضة فكرية في بلاده ، إذ ينعته النقاد والصحفيون بالفنان المثقف الذي لا يعرف كيف يخاطب الجماهير

الكبيرة الواسعة بسبب افلامه الذهنية ، قد رسم طريقا فنيـة للسينمائيين واتجاها أيديولوجيا أمينا مخلصا لفائدة بلاده ٠

شاهدت أيضا « من أجل إلكتر » للمخرج ميكلوش يانشو ٠ هذا الفلـم بديع ، من جميع نواحى الاخراج والتمثيل والديكور ٠

و « من أجل إلكتر » قراءة جديدة وثورية لقصة إلكتر اليونانية القديمة ٠ فلقد جعل يانشو إلكتر هى الثورة الخالدة ٠ لا تموت إلا لتحيا ٠ ولا تتعذب إلا لتنتصر ٠ ولا تسجن إلا لتحرر من جميع قيود الزمن ٠

وهذا الملون من الافلام أحبه وأعجب به ، لأنه استطاع ان يجعـل الفـن السابع فنا كاملا يستقطب جميع امكانيات الآداب والفنون ويصهرها فى بوتقة واحدة ، وهى الصورة ٠

ويانشو ليس غريبا عن تونس ٠ فلقد أتى الى بلادنا منذ سنتين ، وأعجب بالمناظر الطبيعية فصور شريطا لحساب احدى الشركات الدولية ٠

ولعل يانشو أكبر مخرج سينمائى مجرى ٠ فمن ينسى منا فلمه البديع : « المقطوعو الآمال » و فلمه الآخر : « التراتيل الحمراء » ؟

هذان الشريطان اللذان عرضا فى نوادى السينما بتونس منذ سنوات ٠ فاهتزت قلوب المتفرجين معهما أيما اهتزاز ٠

إن المجر يحتل المكانة الاولى فى مجال السينما الاشتراكية اليوم ٠ ثم تأتى بولونيا ٠ وثالثا الاتحاد السوفياتى ٠ وإن المكانة الاولى التى تحتلهـا لا من حيث عدد أفلامها ، بل من حيث قيمة الاخراج والتمثيل ٠ وهـذا راجـع ، بالطبع ، الى تشجيع الحكومة للقطاع السينمائى ، وتمـويله ، وتحريـره من عقبات المنع والرقابة والتوجيه والوصاية ، ودفع الفنانين الى العمل المتواصل المثابر الرفيع ٠

* * *

هذه ملامح وعلامات من ثقافة المجر اليوم ، سجلتها فى هـذه الصفحـات القليلة ، أعتقد ، أنها أمينة ٠

إذا قصرت فى الوصف والضبط ، فذلك مرده ــ بدون شك ــ الى الايام القليلة التى قضيتها بالمجر ، ولا سيما ببودابست ٠

فمن هو الذى يستطيع ان يتعمق ثقافة بلاد تختلـف كل الاختـلاف عن بلاده ، وأن يعرف قضاياها ، وأن يلم بجميع جوانبها خلال شهر ؟

إذا قصرت فى هذه الصفحات ، فان الذين استضافونى لم يقصروا فى أى شىء ٠ فاليهم شكرى ٠

ع٠ م٠

معزوفة الصنوبر

شعر : محمد الاخضر عبد القادر السائحي

ـ 1 ـ

في ظلّ شامخة الصنوبر
أرسل الناي الحزين دموعه المقتوله
يوم احتلال جزائر الأحرار
لم يبق للأطفال في بلد العروبة من خميله
لم يعد في وسعهم أن يلعبوا ،
أن يقطفوا مرح الطفوله
أن يعزفوا لعرائس الأحلام
أغنية المنى المعسوله
في موطن داس العدا أيامه وفحوله

* * *

كان الصنوبر شامخ القامات
يحتضن العواصف في إباء
تتعانق الأغصان في فرح ،
تناجي الشمس والأمطار صيفا أو شتاء
صار الصنوبر مقصدا للزاحفين
من الغزاة ذوي القلوب القاسيه
صار الصنوبر كرمة ،
صار الصنوبر ضيعة
تنمو حواليها معاصر للنبيذ الأشقر
أين السنابل في الحقول الزاهيه ؟
أين « المطامير » المعدّة لليالي القاسيه ؟

حتى الزياتين التي شهدت مسيرة (آدم)
صارت كروما تعصر
صارت دنانا عتقت بلظى دموع الكادحين
ذوي البطون الخاويه
علبا وأقواتا تُصدّر
وأنا وأنت بضاعة مشحونة ،
أبْد تُهجّر ...

- 2 -

فتح الصنوبر للجراح كتابه
ليسطر الآلام ، آلام الجموع
فهناك في جرد السفوح تجمعت أكواخهم
تقتات من لفح الصقيع
هل تنبت الأشواك والاحجار يا وطني - سوى البؤس المريع
وهناك في دمن القذارة ،
في جيوب مدائن المترفهين من الخنازير التي تقتات من لحم البشر ،
نبتت قرى (القزدير) تلعن آكلي لحم البشر
وتنام - ان نامت - على الويل الفظيع
يا ويله (استعمار)
تمشي المجاعة في جيوبه ، تأكل الاحرار
يسري مع الطاعون ، ينشر أينما حل الوباء
كل الوباء
كل الوباء

* * *

آه عليك مزارعي ،
أصبحت فيك أجير لقمة ذلة ملعونة
آه عليك ثقافتي ،
لم يبق من حرفي ومن كتبي سوى ظل كظل هياكل الاموات في كهف الاسى

آه عليك ملامحي ، أكلتك هاتيك المساحيق
الغريبة عن عيون العاشقين
آه عليك مساجدي ، حتى صلاتي لم تعد تجدي لديك ،
لأن قلبي زائغ يخشى الامام فقد يكون بلاختتان
آه عليك عروبتي وعروبتي ليست تحد (بمكة) الحجاج
أو (بالرباط) الصائم ،
ان العروبة في (ظفار) أو (أسمره)

* * *

ومضت صنوبرة الحكاية تدمع
حتى النخيل هوت عراجين الشقاوة فوقه
فبكى مع الناي الحزين بأدمع لا تذرف
وبكت عيون الأرز في القمم الرفيعة مثله
لتظل قافلة الجياع الى الصنوبر تزحف
وضريبة الشهداء تدفع تدفع
أما خبًا قبسٌ لقافلة
تسلّم راية التحرير جيل ثائر لا يركع
حتى الممات
حتى الممات
حتى الممات

– 3 –

دكت جيوش الحقد غابات الصنوبر باللهيب القاتل
بالطائرات ، وبالقنابل في الثرى المتفجّر
فأضاءت الآلام في ليل السجون
وتراءت الآمال في عمق العيون
وعلى الطريق من السفوح الى الصنوبر يسمع السارون
عزفا للجماهير الجياع
عزفا من الدم لحنه ،

ومن الحنين تساوق الايقاع
لحن يشدهم الى الشهداء في كل البقاع
قدر أطل فلا مفر ولا امتناع :
الثورة الكبرى تخوض لهيبها
كل الجماهير المعذّبة القلوب
من أجل أطفال الصنوبر تزحف
من أجل أن تعلو الكرامة
رغم آلام البطون اللاهفة
من أجل ايمان العرائس بالحياة
من أجل أحلام الحقول الوارفه
غنت صنوبرة الجموع الزاحفه :
يا فرحتي
أنشودة الثوار
ترسل منجديد لحنها الجبار
فلقد غدا (أوراس) بالبارود يزأر يزأر
و(الونشريس) يعانق (الصحراء) في حفل الدماء
ويخوض (جرجرة) الأشم مسيرة الشهداء
ليشع في الاعماق لحنك يا (نفمبر)
وتصير قافلة الصنوبر
(جبهة التحرير)

* * *

ياجبهة التحرير
شعب الجزائر ثار ثار
وبنى الحياة بكل ما ملكت يداه ،
بجماجم الشهداء
بالايمان يبرق في أوان الهاوية
بأرامل الابطال في بؤس السجون القاضية
بالرعب ينشره التحدّي في القلوب القاسية

بالنصر يزرعه النضال على الجروح الدامية

* * *

يالوحة الثورات
مارسمت عليك جماجم الشهداء ؟
رسمت دماء النصر أم رسمت دموع الخيبة ؟
رسمت جراح الفوز أم رسمت ـرار النكبة ؟
رسمت جفون القهر أم رسمت عيون الوثبة ؟
رسمت حديث الغدر أم رسمت كلام « الشعبة » ؟
هات الحديث ، تكلمي ،
يالوحة رسمت بريشة أمة الشهداء ؟! »

ـ 4 ـ

رقص الصنوبر
والنخيل تمايلت أغصانه في نغمة سحرية
لتغازل الشمس الحبيبة في المروج الخضر فوق منابت الحرية
والأرز في هام الجبال سقى الأحبة في كؤوس النصر من راح القمر
والتين والزيتون والحقل المنمق بالسنابل ،
بالكروم ، بكل أزهار الحدائق في الربيع المعشب ،
ضحكت لنصرك يا وليد نفمبر ،
ضحك الفؤاد لدى جموعك ،
أشرق الانسان من اشعاعك الحر العظيم الطيب
حتى التراب تحركت ذراته وغدت تغني للجداول
والطيور تردد الالحان ،

* * *

عاد (الاجير) الى المزارع عودة الماء الزلال الى الظماء التائهين
عاد الاجير الى الحقول بطينة الانسان يزرعها ،
وفي اليد أمنيات من يقين

عاد الأصيل الى منابته ،
الى كل المدائن والقرى ،
والفرحة الكبرى شعاع ساحر قاد القلوب الى الضياء
فرأت طريقا مشرقا في قمة المستقبل المرسوم بالعمل المكين
عادت حروف (الضاد)
عادت حرة تعلو بها أنشودة الأطفال
في قبل اللقاء
و(الله أكبر) في المآذن والمساجد
بشرت روح الشهيد الخالد
فالله أكبر في الحياة
وفي الممات شعار كل مجاهد

* * *

و(الراية الخضراء) رمز شامخ
يحكي الى التاريخ معجزة الجزائر من كتاب نفمبر
ورسالة الآباء والشهداء
ترويها الى الأجيال أعمال الوطن
في ظلها نبتت أخوتنا
وزهرة مجدنا طول الزمن
فلها الفداء
ولها الوفاء
وأنا وأنت ، جميعنا ، في عزها مهما يكن .

الجزائر 1975/10/22
17 شوال 1395

المهرج

تمثيلية ، بقلم : حسن نصر

الشخصيـــات

في الضوء الأحمر	في الضوء الأبيض
ـ المهــرج	ـ الطبـــال
ـ الراقصــة	ـ الزكـــار
	ـ الأم

المنظر : الركح نصفه تحت الاضواء البيضاء حيث يقف الطبال والزكار • وفي دائـرة من الضـوء الاحمـر في أقصى الركح يبدو شبح المهرج وشبح امـرأة ، ترقص حوله وتطوف به كالفراشة المضطربة •

المهرج : انني مكبل

الطبال : من كبلك ؟

الزكار : من كبله ؟

المهرج : هي •

الطبال : من هي ؟

الزكار : نعم من هي ؟

المهرج : هي كبلتني •

الطبال : (وهو يحاول ان يكتشف المكان حوله) وأين هي ، أنا لا أرى أحدا•

الزكار : أنا أيضا لا أرى أحدا •

المهرج : افتح عينيك جيدا وانظر •

الطبال : لكنني لا أرى أحدا •

الزكار : وأنا الآخر لا أرى أحدا •

المهرج : افتحوا عيونكم على وسعها وانظروا ٠

الطبال : (ملتفتا الى الزكار) هل رأيت شيئا أيها الزكار ؟

الزكار : لم أر شيئا ٠

المهرج : انكم لا تستطيعون رؤية أى شيء لان بطونكم أكبر من عيونكم ٠

الطبال : من هى هذى التى انظر اليها ، أنا لا أرى شيئا ٠

الزكار : نعم ٠ من هى التى تريدنا أن ننظر اليها ؟!

المهرج : افتحوا بطونكم اذا لم تستطيعوا أن تفتحوا عقولكم ، وانظروا ٠

الطبال : ها أنا ذا أفتح كل شيء ٠ افتح عينى ، افتح أذنى ، افتح أنفى ، افتح فمى ٠

الزكار : وأنا معك افتح كل شيء ٠ افتح يدى ورجلى ، افتح قميصى ، افتح حتى سروالى ٠٠!

المهرج : ليتكم تستطيعون فتح عيونكم فقط ٠

الطبال : (فجأة) انتظر ٠٠ يبدو لى أننى أرى شيئا ٠

الزكار : نعم ٠ كأننى أنا الآخر بدأت أراه ، إنه هنالك فى الزاوية ٠

الطبال : لا ليس فى الزاوية ، إنه أمام الباب ٠

الزكار : على كل حال فبصرك أحسن حالا من بصرى ٠

المهرج : (يتوجع) إنها تطوق عنقى ، إننى أختنق ٠

الطبال : الى هذا الحد ٠

الزكار : الى حد الاختناق ٠

المهرج : ٠٠٠ وتضغط على صدرى ، تغرز أظافرها فى صدرى ، وتشق قميصى ، تدمى لى صدرى ٠

الطبال : هكذا مرة واحدة ٠

الزكار : وعلى مرأى ومسمع منا جميعا ٠

المهرج : إنها لا تكترث بأحد ٠

الطبال : مهما بلغ الانسان فلا يصح أن يبلغ درجة التهور ٠

الزكار : سترك وعفوك يا ربى ٠

المهرج : (صارخا) آى ٠٠ آى ٠ ليس هكذا ، لا ليس هكذا ٠

الطبال : (متوجها الى الزكار) وماذا هي فاعلة به أيضا ؟

الزكار : من أين تريدنى أن أعرف ؟ اختلطت الامور واشتبهت السبـل ولم أعد أفهم شيئا ، سترك وعفوك يا ربى ٠

المهرج : انها تجردنى من ثيابى ، تنزع عنى كل ثيابى ، تتركنى عاريا ٠

الطبال : لا يصح أن يحدث هذا أمام أعيننا ٠

الزكار : هذا منتهى العيب ٠

المهرج : آى ، آى ، آى ٠٠ لا ، لا ، لا ٠٠٠

الطبال : (إلى الزكار) وماذا هى أيضا فاعلة به هذه المرة ؟

الزكار : من أين لى أن أعرف ، أنا لم أعد أفهم شيئا ، أنا محتار ٠

المهرج : لا تجذبنى هكذا ، إلى أين تأخذنى ، أين تحملنى ، لا يمكن أن يكون ذلك هكذا ، تكاد تسقطنى ، تمهلى قليلا ، أكاد أسقط ، إننى أسقط ، لا ، لا (تسمع السقطة) آى ، آى عظامى ، عظامى تحطمت ٠

الطبال : لا يصح أن يحدث هذا ، أمام أعيننا ٠

الزكار : نعم ٠ لا يصح أن يحدث هذا فى وضح النهار ٠

الطبال : لكننا فى الليل أيها الابله فهل أنت لا تفرق بين الليل والنهار ؟

الزكار : اختلطت على الامور فلم أعد أدرى ان كنا بالليل أم بالنهار

المهرج : ٠٠ آى عنقى ، لا تضغطى على عنقى بكل هذه القسوة ٠ هـذا يؤلمنى ٠

الزكار : وهل وصلت الى عنقه ؟

الطبال : علينا ان نفعل أى شىء لانقاذه ٠

الزكار : وماذا يمكن أن يفعله اناس ضعفاء فى مثل حالنا ٠

الطبال : الى متى سنبقى مكتوفى الايدى من غير ان نتدخل ونجعل حدا لهذه المهزلة وهذا التهور ٠

الزكار : أرجوك أن تتثبت قبل أن تقدم على شىء كهذا يعود علينا بالوبال ، فنحن ضعفاء ، جياع ، مساكين ٠

المهرج : (يضحك ضحكا عاليا) لا ، لا ، لاليس هكذا ، لا تمسنى من هناك ، لا أتحمل من هنالك ، لا لا أتحمل ذلك ، لا ليس من ذلك الموضع ، (يضحك بصخب أعنف) أوه ٠ لا ٠٠ أوه لا ٠ أى ، أوه ٠ أوه ٠ أى ، أى ٠٠٠

الطبال والزكار : (يضحكان بهرج) يتوقف الطبال فجأة عن الضحك فيتوقف الزكار معه) .

الطبال : (إلى الزكار) يبدو أن صاحبنا يسخر منا .

الزكار : إنه لكذلك يسخر منا ويضحك علينا .

الطبال : هكذا اذن لقد بدأنا نكتشف اللعبة .

الزكار : إنها لعبة مفضوحة .

الطبال : أراد أن يوهمنا بأنه مسكين وبريء .

الزكار : وانها هى التى تريد أن ترغمه على ممارسة فعل الحب معها .

الطبال : ويتظاهر بأنه يستنجد بنا .

الزكار : يظن اننا بلهاء .

الطبال : ومن منا الابله فى حقيقة الامر .

الزكار : (ينفجر ضاحكا) .

الطبال : أنت الآخر تضحك ! تضحك معه .

الزكار : ليس الامر كذلك وانما تذكرت شيئا .

الطبال : فهمت . إنه لأمر مضحك . أمر مضحك حقا .

الزكار والطبال : (تأخذهما نوبة من الضحك الصاخب) .

المهرج : (بصوت كئيب) اننى مهموم معذب ، واعرف انك سبب همى وتعذيبى ، مهما اذقتنى من ألوان العذاب فلن أكف عنك ، سأظل أناديك حورية ، أين أنت يا حوريتى ، يا حوريتى الغالية ، يا حبى الاوحد ، ويا نور عينى ، لا تتركينى وحيدا ، عذبينى ما استطعت ولا تتركينى وحيدا ، لا أحب أن أبقى وحدى ، لا أحب أن أراك بعيدة عنى ، حورية ، حورية .

الزكار : صاحبنا أصبح عاشقا ولهان ، حورية ، حورية لم يعد يطيق فراقها .

الطبال : يريد أن يوقعنا فى أحابيله بكيفية مغايرة وخبيثة .

الزكار : يظن أنه من السهل أن يخدع أناسا مثلنا .

« فجأة يرتفع صوت امرأة بالبكاء . تندفع بعنف الى مقدمة الركح يشدها رجلان عن يمينها وعن شمالها ، تكاد تطوح بهما وهى تولول وتصرخ منشورة الشعر ممزقة الثياب وينتشر مع دخولها النور قويا وضاحا ويضج صوت الموسيقى يهز الافئدة من سباتها » .

الأم : (فى موقف مضحك الى حد الرثاء) ابنتى ، ابنتى ، ابنتى ، أريد ابنتى ، أين أنت يا عزيزتى ، يا وحيدتى الغالية ، يا فلذة كبدى ، يا نور عينى ، يا حياتى ، يا مهجتى ، أين ذهبت ، كيف طاوعتك نفسك فتركت أمك ، أمك التى تحبك وتفديك بحياتها ، تراك فى أى مكان أنت ، كيف أنت الآن ، خائفة أم آمنة ، نائمة أم يقظى ، مكسية أم عارية ، طاعمة أم جائعة ، عطشى أم راوية ، أنا أمك أناديك ، فهل تسمعين ندائى ، فهل ترحمين بكائى ، لماذا لا تجيبيننى ، أنا أمك ، أمك التى تفديك بحياتها ، أمك التى تحبك ، تحبك ، تحبك ..

« تنطفىء الاضواء ، تغيب المرأة ويهدأ صوت الموسيقى » .

الطبال : (إلى الزكار) أتكون ابنتها هذى التى معه ؟

الزكار : اننا لا نعلم عنها شيئا .

الطبال : لكننا نعلم عنه كل شىء .

الزكار : اننا لا نعلم عنها شيئا .

الزكار : نعم . نعلم انه منذ مدة يعيش فى معاشرة امرأة .

الطبال : ونعلم انه يبادلها الحب والغرام .

الزكار : ونعلم انه يخفيها عن الاعين .

الطبال : ونعلم انه يدعى باطلا أن هذه المرأة هى التى تأسره .

الزكار : ونعلم انه فى حقيقة الامر هو الذى يأسرها .

الطبال : ونعلم انها قررت ان تتخلى عنه .

الزكار : ونعلم انه اصبح لا يستطيع العيش بدونها .

الطبال : واننا قد اكتشفنا جميع حيله .

الزكار : وماذا علينا أن نفعل ؟ ماذا بقى لنا ؟

الطبال : بقى أن نرفع أمره الى مجمع المهرجين .

الزكار : وماذا ننتظر من وراء ذلك ؟

الطبال : يا لك من أبله .

الزكار : نعم . نعم لقد فهمت .

الطبال : ماذا فهمت ؟

الزكار : يجب أن يتم عزله ·

الطبال : ها أنت ذا بدأ يعود لك رشدك ·

الزكار : وسنرشحك أنت أيها الطبال الى منصبه ، فليس ثمة أحد غيرك يستحق هذا المنصب ، اننى منذ الآن استطيع أن أعدك بالتصويت لفائدتك ·

الطبال : (يذهب ويجيء مزهوا) أنت أيها الزكار رجل ذكي جدا واذا تم تعييني في منصب « المهرج » فانني سأعمل من ناحيتي على أن أجعلك ترتقي الى مرتبة الطبالين ، وسأعينك طبالي الخاص أيها الزكار ، بل أيها الطبال ، بل يا طبالي الخاص ·

الزكار : (يرقص مزهوا) يحيا المهرج الجديد ·

(ستـــــار)

ح· ن·

الترادف اللغوى

بين منكرومثبت وفي التطبيق

بقلم مصطفى بوهلال

ان كانت اللغات كائنات حية ، تنمو وتتدفق (I) ، بدافع الشمول وارتقاء ، فان اللغة العربية لتعتز بامتداد فيها ، وتفتح وحركية ٠٠ خذ لك مثلا:ظاهرة « الترادف » فيها ، فلقد يسرت على الكثيرين انتقاء الملائم ، واوسعت مجالات لتلبية رغبة حسن التصرف ٠ ولست بهذا أريد أن أبارك الدعوة التى نشأت من قديم ، تلك التى تستند فى المباهاة بأفضلية العربية على أساس ظاهرة الترادف ، فالموقف الاثرى يدعو الى نقاش هاته الظاهرة على اعتبار أنها خاصية تميزت بها لغتنا ٠ ذلك لان فى مثل هاته « المباهاة » تزييف لجوهر اللغة وسمة البلاغة ٠ اذ : « اللغة جسد وروح فى آن ٠ فاذا وجب الاهتمام بالجسد ، فالى الروح ينبغى أن نرتقى » (2) ويوم رجح طرف من طرفى هاته الثنائية ، كان الفراغ والجعجعة ، وحصل الزيغ والتضليل ٠

غير أن هذا المقام لا يتسع لتتبع المشكلات اللغوية والفكرية التى نشأت عن هاته لنزعة الافتخارية ، ومن أبرزها : مسألة « اللفظ » و : « المعنى » ٠ على أن الذى ينبغى اثباته هنا هو أن « اللغة اثبات أن اللفظ كذا ، لمعنى كذا ٠ » (3) ومادام الامر كذلك فلن تكون البلاغة « غير أن يؤتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ هو أخص به وأكشف عنه ، وأتم لـه ، وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية » (4) ٠

I) الانسان بين اللغة واللسان ـ الحبيب ابراهم ـ مجلة الفكر٠ س ٩٠ ع ٠8 ص I4 ٠

2) الانسان بين اللغة واللسان ـ الحبيب ابراهم ـ مجلة الفكر ٠ س٩٠ ع٠8 ص I0

3) المقدمة لابن خلدون ـ ص I064 ٠

4) دلائل الاعجاز ـ لعبد القاهر الجرجانى ٠ ص 35

وانه ليبدو جليا أن هاته التعادلية فى التطبيق التعبيرى ، تثير فى الفكر تساؤلا عميقا : فعلى أى عماد يكون الاختيار، وهل يبارك علم اللغة «اختصاصية» الكلمة أم يقر لها « الاشتراكية » فى معنى بعينه مع تعدد فى اللفظ ؟

لقد كان المذهب الاوفق ، ذلك الداعى الى : « الاصل فى الالفاظ أن يختص كل لفظ بمعنى معين ، بهذا جرت الكثرة الغالبة من ألفاظ اللغات فى العالم ... (فهى) تتجه ... الى تخصيص اللفظ بمعنى يصبح له بمثابة العلامة ، متى طرقت السمع أثارت فى الذهن دلالة معينة يشترك فى فهمها أفراد البيئة اللغوية » (5) .

ذلك ما يقرره علم اللغة الحديث ، لكن ما موقفه من الترادف فى العربية ؟ هل هو موجود ؟ وبأى التعليلات نفسر هذا الوجود ؟ وبأى قياس نفحص المترادفات ؟

تلك عينة من أسئلة لا تتناهى ، جاءت محاور لمناقشات ، تعد من أوسع موضوعات اللغة التى درست قديما وحديثا . ولم أجد تفسيرا دقيقا لذلك التباعد الواضح بين آراء العلماء ، على مر الدهور ، فى هذه المسالة ، رغم أن التقارب هنا تدعو اليه الضرورة : ضمانا لحرمة العربية وصيانة لكينونتها ، ورأفة بالملايين المتعلمة من الاجيال الطامحة . وعسى أن تتواصل البوادر فى هذا المجال ، على نطاق أوضح وأشمل ، فى المجامع ومراكز التعريب (6) .

والاهم الآن ، هو أن نتبين مدلول الترادف ، وأبعاده ، فما مفهومه ، وهل التزم اللغويون مجالات هذا المفهوم ؟ وهل هو نابع من المدلول أو الكلم ؟

يقول لويس معلوف فى المنجد : ترادفت الكلمات : تشابهت فى المعنى . فهل يرضى هذا التوضيح طلاب البحث العلمى ؟ رأيى أن هذا المفهوم سيزيد الموضوع تشعبا وتباعدا ، ذلك أننا ان استخدمناه فى ميدان التصرف اللغوى ،

---

5) دلالة الالفاظ ـ د. ابراهيم أنيس . ص 210 . ط : 2

6) يقول يحى حقى فى مجلة ـ المجلة ـ ع 138 ماى 1968 . ص 29 :

« نحن فى أشد الحاجة الى المعجم اللغوى التاريخى الذى يعده المجمع اللغوى ، فهذا المعجم حين يتتبع منشأ الكلمة وتطورها واستعمالاتها المجازية على مر العصور ، يساعدنا اليوم على استحداث المجازات الجديدة داخل نطاق اللغة الصحيحة »

لظهرت لنا مفردات تكون مترادفة على ضعف الشبه بينها ، ومن ثم يتضخم قاموس المترادف أضعافا مضاعفة ..

أما عبد القاهر الجرجاني فيستعمل الترات بمعنى التقابل (في كل الحصائص) (7) وأما التوحيدي فقد استخدم « النظائر » ليشير بها الى المترادفات .

ومن هنا لنا أن نؤكد أنه (اذا دلت نصوص اللغة على أن بين الالفاظ المختلفة الصورة فروقا في الدلالة مهما كانت تلك الفروق طفيفة ، لا يصح أن تعد من المترادفات ، لان شرط الترادف الحقيقي هو الاتحاد التام في المعنى) (8)

وعلى هدى هذا المبدأ ، هل توجد مترادفات في لغتنا ؟ لمحاولة الاجابة لا مندوحة لنا من استقراء تاريخ اللغة ، وفي هذا الموقف يؤكد فريق من العلماء : وجود المرادف ، وبكثرة أيضا ، وهذا - في نظرهم - مبعث افتخار واعتزاز . ومن هؤلاء : ابن خالويه ، والفيروزبادي (9) ، والرازي ، والسبكي ، وابن سيده (10) وابن السكيت ، والهمذاني ، وقدامة بن جعفر (11) وأبو الحسن الرماني (12) . وهذه بعض مما جمعه هذا الاخير :

1) المجلس : المحفل : الموسم : المجتمع : الندى .

2) السرور : الحبور : الجذل : الغبطة : الفرح .

ان قراءة بعض هؤلاء ، وتكفينا مصاحبة السيوطي في مزهره لتدفعنا الى ملاحظة « نزعة الغلو » ذلك أنهم تناسوا كل الفروق بين الكلمات ، حتى المتميزة منها ، وقد أوسع هذا ، لهم المجال لقدح الزناد بطلاقة لا تمت الى الضبط العلمي بأوثق الصلة ؛ زد على هذا : الخلط بين ألفاظ جاهلية وأخرى اسلامية ،

---

7) أسرار - ص 15
8) دلالة الالفاظ . د. ابراهيم أنيس . ص 213 . ط 2
9) مؤلف كتاب : « الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألوف » توفي 1414 م
10) مؤلف كتاب : « المخصص »
11) مؤلف كتاب : « جواهر الالفاظ » توفي سنة 907 م .
12) جامع كتاب : « الالفاظ المترادفة » توفي سنة 384 هـ .

حسبوها مترادفة (13) ، الى جانب التمسك بالغامض الخشن ، خذ لك مثالا ، هذه النماذج لتتم لك لمقارنة :

1) ليلة مد لهمة أى ديجور ، وديجوج ··· واطرمس الليل اظلم ، والغيهب نحوه · (14)

2) أظلم الليل ودجى وأدجى · وتغضف وعتم وأعتم ، وغبس وأغبس ، ودمس ، وعسعس ، واعتكر ، وأطلخم ، وادلهم ، وأسدف ··· وأحلولك ، وسجا وأسجى ، وجن وأجن · (15)

3) لئيم ، خسيس ، زنيم ، مهين ، وقح ، وضيع ، ضعيف ، خامل ، ساقط ، رذل ····· (16)

وننظر فى هذا الفريق ، فنجد من بين المحدثين أنصارا لمذهبهم ، فأولئك وهؤلاء يفاخرون باعتلاء العربية سلم اللغات على أساس ثرائها بالمترادفات ، انه : « لا يزال القول بالترادف فى العربية شائعا فينا رائجا بيننا ، حتى لنقرأ فى مفتتح الرسالة يوم 11 من فبراير 1965 مقالا للدكتور على عبد الواحد وافى ، وهو متخصص فى علم اللغة ، يباهى فيه بأن لغتنا الفصحى « منقطعة النظير فيما اجتمع لها من مترادفات فى الاسماء والصفات والافعال ، ما لم يجتمع مثله للغة سامية أخرى ، بل ما يندر وجود مثله فى لغة من لغات العالم » واستشهد لذلك بما جمعه ابن منظور من اسماء للاسد عددها 500 اسم ، وللثعبان مائة اسم وما جعله الفيروزبادى من مئات الاسماء للشىء الواحد » · (17)

ولعل الاصل فى هذا : الاعتزاز بالتراث على ما فيه ، وتقديس حاملى المشعل الاوائل ، ومن ثم جاء التسليم بما اجتهدوا فيه أمرا مقضيا ، رغم ما فى ذلك من اجترار واقتفاء ··!

---

13) دلالة الالفاظ ـ د· ابراهيم أنيس ـ ص 221 · ط 2

14) ابن السكيت فى كتابه : تهذيب الالفاظ · ص 416 ·

15) عبد الرحمان الهمذانى : الالفاظ الكتابية · ص 289 ·

16) قدامة بن جعفر ـ جواهر الالفاظ · ص 12 ·

17) كتاب العربية الاكبر ـ د· بنت الشاطىء· الفكر· س10·ع07·ص34

وازاء هذا النمط من التراث الثقافى ، هبت فئة من الراسخين فى المعرفة تثير الشك ، وتبعث الحيرة ، فهذا أبو على الفارسى ، والمبرد ، وأبو منصور الثعالبى (18) وأبو هلال العسكرى (19) وعلى بن محمد الجرجانى (20) هؤلاء ، وغيرهم كثر ، (21) أظهروا بوضوح : عدم وجود الترادف فى العربية ، كما لم يقفوا فى أبحاثهم عند هذا الجانب السلبى ، بل راحوا يلتمسون الادلة ويبرزون الدواعى ، ومن هنا كانت عنايتهم متجهة ، خاصة ، الى بيان وتعداد *الفروق* ، ومغامز الفصل ، بين الدلالات المقول بترادفها .

ولئن اتسمت ، مثل هاته البحوث ، فى الاغلب ، بالدقة وعمق التحليل ، وبعد التصور ، وشمول الاستقراء ، وحسن الذوق ، فانها اصطبغت بصبغة « جدلية » ، كانت تنتهج سبيلها على اشعاع مبدا : اخضاع اللغة للفلسفة ، ولتصورات خاصة ، « وقد طوعت لهم فلسفتهم هذا النحو من التصرف ، واستطاعوا أن ينهضوا بأثقاله ، لان عقولهم فى تلك الاوقات ، فى تلك السنين ، كانت عقولا فلسفية متأثرة (بالميتافيزيك) (22) ولنا أن نتصور بعضا من آفاق ذلك ، فى هذه النماذج :

1) الفرق بين القديم والعتيق ، أن العتيق هو الذى يدرك حديث جنسه فيكون بالنسبة اليه عتيقا ، ولهذا لا يقال : ان السماء عتيقة وان طال مكثها، لان الزمان لا يؤثر فيها ، ولا يوجد من جنسها ما تكون بالنسبة اليه عتيقا (23)

---

18) مؤلف كتاب : فقه اللغة .

19) مؤلف كتاب : الفروق اللغوية .

20) مؤلف كتاب : التعريفات ــ توفى سنة 816 هـ 1413 م

21) انظر ، من مقدمة ابن خلدون ، فصل : « علم اللغة » وان كان قد أوجز الكلام عن هذا الخصوص بقوله : « وكذلك ألف بعض المتأخرين فى الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وإن لم تبلغ الى النهاية فى ذلك ... »

22) نحو ميسر وكتابة ميسرة ــ د. طه حسين ــ الفكر . س . ع 2 . ص 50 وانظر كذلك : خواطر اجتماعية حول اللغة العربية ، للمستشرق جاك بارك . الفكر ــ س 5 . عدد 5 . ص 10 .

23) أبو هلال العسكرى : الفروق اللغوية . ص 34 .

2) الفرق بين السخاء والجود هو أن يلين الانسان عند السؤال ، ولهذا لا يقال لله تعالى سخى ، أما الجود فكثرة العطاء من غير سؤال (24)

3) البخل هو المنع من مال نفسه ، والشح هو بخل الرجل من مال غيره (25)

4) الابد هو استمرار الوجود فى أزمنة مقدرة غير متناهية فـى جـانب المستقبل ، كما أن الازل استمرار الوجود فى أزمنة غير متناهية فى جـانب الماضى (26) ٠

لنا أن نقول على هذا الاساس : لئن طلبت الوحدانية فى الرب ، فكذلـك طلبت فى اللفظ ، والا فقد كانت الطامة الكبرى : كان الزنا الفكرى !! (27)

وانه ليزداد الانكار انغلاقا ، حين نتناول قضيـة التـرادف فى القـرآن فالقرآن : « يحسم قضية الترادف ، حيث يشهد التتبع الدقيق لالفاظه فـى سياقها ، بأنه يستعمل اللفظ بدلالة محدودة منضبطة لا يمكن معها أن يقوم لفظمقام آخر ، فى المعنى الذى تحشد له المعاجم وكتب التفسير عددا قل أو كثر أو تفخم من الالفاظ المقول بترادفها ، فالقرآن مثلا ، استعمل مادتى (حلف وأقسم) وهما بمعنى واحد فى كتب التفسير ومعاجم اللغة ، لكن استقراء مواضع استعمالهما فى القرآن كله يمنع هذا الترادف ، حيث تأتى مادة (حلف) دائما فى مقام الحنث باليمين ٠٠٠ » (28)

أما عن تعليلات رفض وجود المترادف فأراهـا تنهـض على تزكيـة العربيـة أساسا واعلائها حسب آفاق مناهج علم اللغات الحديث ، ذلك أنه رئى فـى الترادف فقدان حس لغوى ، وعجز عن ضبط الـدلالات والمفاهيم ، كمـا أن الفن الادبى ينكر لغـة يمكـن أن يستبدل لفظ فيها بعشـرات أو مئـات

---

24) نفس المصدر ٠ ص 142 ٠

25) على بن محمد الجرجانى ـ التعريفات ٠ ص 34 ٠

26) نفس المصدر ٠

27) الانسان بين اللغة واللسان ـ الحبيب ابراهم ـ الفكر ٠ س 4 ٠ ع 9 ٠ ص 87 ٠

28) كتاب العربية الاكبر ـ د٠ بنت الشاطىء٠ الفكر٠ س 10٠ ع 7٠ ص 34

أوألوف ٠٠٠٠ (29) فان انتفى اشتمال القرآن على مترادفات فقد انتفى بالتالى وجود مثل ذلك فى العربية ، ومن ثم سقط اتهامها بفقدان الحس اللغوى ، واللاانضباط ٠

وفى مسرب آخر ، يحلو لبعضهم ذكر وجود الترادف بداهة ، ليسلط على العربية حكما بالجمود والجمود فناء ٠ فـ : « العربية لا تصلح أن تكون لغة علم ، لعجزها على تحديد دلالات الالفاظ وضبط مفاهيمها حيث تكثر الترادفات فيها بكثرة فاحشة (30) »

ليس هذا المغمز وحده ، هو الذى خلق ريبة فى عقول أبناء هاته اللغة ، حول طاقتها ، بل لنا أن نذكر الى جانب هذا بعض المغرضين الذين اشتهوا تحويل مسارب الجدل نحو التثريب والتشكيك فالعقوق ٠(31) لكن احقا ليس فى القرآن ترادف ؟

ان الحكم هنا لم يكن بالامر الهين إذ لا بد من الرجوع الى كبار المفسرين الضالعين فى اللغة ، وبالاستقراء والمتابعة تلقى الترادف : « بكثرة فى ألفاظ القرآن ، رغم محاولة بعض المفسرين أن يلتمسوا فروقا خيالة لا وجود لها الا فى أذهانهم للتفرقة بين تلك الالفاظ القرآنية المترادفة ٠ » (32)

ولنا ، فى هذا المقام ، أن نذكر الفقرة الخاصة بتفسير قوله تعالى : « فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون » للعلامة ابن عاشور ، فقد قال :

« الافتراء : الكذب ، وهو مرادف الاختلاق ٠٠٠٠ ونظيره اطلاق اسم الاختلاق على الكذب ، فالافتراء مرادف للكذب ، وارادفه بقوله هنا : (الكذب) تأكيد للافتراء ، وتكررت نظائر هذا الارداف فى آيات كثيرة » (33)

---

29) نفس المصدر .

30) نفس المصدر ٠ ص 33

31) يقول بويسون : « يكفى قليل من التفكير لكى نرى أن اللغة الحية لا تحوى مترادفات كاملة » انظر الفكر ٠ س 4 ٠ ع 9 ٠ ص 87 ٠

32) دلالة الالفاظ ٠ د٠ ابراهيم أنيس ٠ ص 215 ط 2 ٠ وان لم يذكر ولو دليلا واحدا فى كتابه على حكمه هذا ٠

33) تفسير التحرير والتنوير ، لسماحة العلامة محمد الطاهر بن عاشور ج ٠4 ص ٠15 طبعة الدار التونسية للنشر عام 1970 ٠

فى هذا الضرب من المعالجة تكمن عناصر المشكلة ، ويبدو أنها ستحدد المزيد من الاستنتاجات الجوهرية ، فان حدثت « الفروق » واستنتجت من السياق ، ترى هل نتمسك بها ويجرى التفسير ــ بمعناه الأعم ــ عليها،أم نتركهاجانبيا؟ وبمعنى مغاير : أننظر فى اللفظ والمعنى فقط ــ ونحن فى موضع البحث عن المرادف ــ أم نتوسع حتى الى المقام والقرائن ؟ وهل المقام يزيد اللفظ تقريبا للذهن والمعنى ايضاحا ، أم هو يؤثر أيضا فى « ذات » المعنى ، يوجهه كيف شاء ؟ وبالتالى ان أردنا التفريق ب « المقامات » والفروق ، هل نصل فى النهاية الى تيسير ، أم الى تعسير ؟

قد يكون استنطاق السياق الزم ، مع المفردات التى تستعمل لمعان عـدة ، كالعين مثلا ، لكن أيمكن أن نتخذ ذلك قياسا فى المقارنة بين لفظتين ، ظـن أنهما ترادفتا ؟ ثم أليس فى هذا تكلف وحذلقة لا يتعديان القشور ؟

٠٠ وعلى ما سبق ، يصح القول بأن الاغراق فى التماس الفروق ــ أيا كـان نوعها ــ وتلفيقها للتمييز بين (المترادفين) ، أو ارسال العنـان للعاطفـة المشبوبة تمجد الترادف وتوسع له أفسح المجالات،قلت : كل ذلك أجج حيرة عقلية هادفة ، اتجه مسر بها ــ فى الاخير ــ نحو الرصانة وحسن التصـرف فى التوفيق والاعتدال ؛ ذلك أنه مادام « الحدث اللغوى » ــ على ترامى الايام ــ هو الذى أمدنا بكلمات مترادفة أصلا ، فانما هى سبحات فلسفية وخطرات حوارية ، وردود فعل تسلطت على ذلك ، رغبة فى التوسيع أو التضييق ٠٠ واذن ، بناء على بطلان القول بأن الترادف غير موجود ، وبناء على كون هذا من فضائل العربية فى الماضى ، ومن نقائصها فى الحاضر حيث نـراه يعـاكـس الروح العلمية ، فالمصطلح لا يقبل التعدد ، وروح العصر لا تسيغ التكرار فى الادب ، بناء على جميع ذلك ينهج بنا الرأى الى التخفيف من تلك « الغوغائية » الشائعة على مسربيها المتعاكسين اننا ان «شذبنا» الكثير من مادة دعاة الترادف المعجميين تبدد ذلك القول « بأن كثرة المترادفات فى العربية تضخم القاموس العربى ٠ » (34)

٠٠ ومن ثم يبطل أن يكون الترادف هو مصدر الحيرة والفوضى ٠

---

34) خطوات عملية نحو التقريب بين لغة الحديث ولغة الكتابة ٠ د ٠ الطاهر الحميرى ٠ الفكر ٠ س 5 ع ٠ ص 25 ٠

واذا كان ابن خلدون قد اعتبر أن العربية دخلها تغيير حتى فى قبائل العرب نفسها ، فما ذلك الا لانه كثيرا ما يجابه التفاعل الانسانى والحياة باتساع الثنايا وتنوع الكائنات وتشابه الحادثات ، وتقارب الظواهر والاشياء وتلا حمها وكثيرا ما اتسم ذاك التفاعل باختلاف النظرة للمسميات،وبتشتت ملكةالتقييم لذلك نشأت ألفاظ التقت فى معناها أجزاء ، وأخرى تم فيها التطابق ، واستقر استعمالها عند الجميع بما فيها تلك المفردات التى تشترك فى معنى واحد ، التى صدر كل منها عن لسان قوم ·· انما علينا دوما أن نذكر أن العرب القدامى شغلتهم الموسيقى اللفظية عن ملاحظة الفروق بين الدلالات مما ترتب عنه كثرة الالفاظ المترادفة ·· وأخشى أن نبقى على « اقتفاء الاثر » فنمكث مشدوهين أمام هذا السيل العرم من المترادفات المولدة ، ولن يغيب عنا مثلا ، أننا سمينا جهاز الاذاعة المرئية بـ (التلفزة) وأهل الشرق بـ (التلفاز) وبـ : (التليفيزيون) ·

واننا لنجد صدى لذلك فى العامية التونسية حيث تكثر المترادفات أيضا ، مثال ذلك ما يقال فى لهجة الجهات الساحلية : برنية : درجية : برادة

قد يشير هذا الى أن اللغة متينة الارتباط بالوجود الاجتماعى وتطوره،وتبعا لهذا تتطور المفردات « من الخشونة الى اللين ومن الجفاف الى الطلاوة ، ومن التناشز الى التناغم · ويكفى أن نتذكر الغضنفر ثم الاسد والعسلوج ، ثم الغصن والقيهل ، ثم الوجه والحندورة ثم العين ، كى يتضح لك البعض من هذا التطور المستمر » (35)

وعساه يكون من المهم أن نتعرض الى بعض أوجه الاتصال بين الترادف والفصاحة ·· جلى أن المفردات المترادفة سواء فى البيان ، فى حالة الافراد ، الا بوجهين :

1) كون هذه مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية ·

2) أن تكون حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن ·· (36)

أما فى حالة النص فهناك تتجلى عناصر جديدة للبلاغة · فقد يكون لاحدى المترادفتين « فى تحسين المعنى وتزيينه واحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون للاخرى » (37) ·

---

35) الحبيب ابراهيم · الفكر · س 10 · ع 2 . ص 32

36) دلائل الاعجاز ــ ص 352 ·

37) دلائل الاعجاز ــ ص 324 ·

ولنفقه هاته الاشارة اللطيفة ، لنا أن نرجع الى سورتى القارعة والغاشية ، وهما بمعنى القيامة. ففى استعمال الاولى : «ما يلقى صورة القرع واللطم... ومن تناسق العرض أن تسمى القيامة بالقارعة ليتسق الظل الذى يلقيه اللفظ، والجرس الذى تشترك فيه حروفه كلها ، مع منظر الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش » (38) . أما لفظة الواقعة فتثير فى الشعور صورا ومشاعر أخرى « بما فيها من مد ثم سكون أشبه بسقوط الجسم الذى يرفع ثم يترك فيقع فينتظر له الحس فرقعة ورجة : وهكذا يلبى السياق ما يتوقعه الحس ، فهى خافضة رافعة » (39)

فمن هذه الزاوية ، استعمل الترادف ، كوجه من أوجه السحر البيانى ، ومن هذه الزاوية أيضا نلج الميدان التطبيقى التعليمى ، واننا لواجدون دعوة الى تيسير العربية : مجاراة لروح العصر وعقول الشباب ، ومن وجوه التبسيط : « تحديد معانى الالفاظ تحديدا منطقيا فلا نسرف فى اصطناع المترادف الذى يجعل الالفاظ غير مفصلة على قدود المعانى » (40)

ومن وجوه التبسيط أيضا :

- اجتناب المترادفات الغريبة .
- الاعتدال فى تناولها (41) .
- ملاحظة الفروق بين الالفاظ ، قصد الحاق الفارق فى التفسير ، اذ كان لا بد من ذلك . حتى يتم ادراك : « أنه من المتأكد أن يتصدى الشرح الى ابراز ما فى المفردات من لون ومن قوة ايحاء » (42) .

والذى يتراءى لى فى هذا الموقف : ان الصعوبة ما زالت بعض منافذها منغلقة فلعل الهمم تهفو الى شىء من الانارة ، وفى ذلك أجل خدمة تسدى الى لغة هى جوهر أصالتنا ..

---

38) مشاهد القيامة فى القرآن . لسيد قطب . ص 66 . ط 3 .

39) نفس المصدر . ص 108

40) مشكلات اللغة العربية ـ لمحمود تيمور . ص 15 . ط 1 .

41) الفصحى والعامية ـ أحمد عبد السلام . الفكر . س 2 . ع2 . ص 43 . وكذلك انظر كتاب : الاحرفية ، ليوسف السودا .

42) محمد بوجناح ـ النشرة التربوية . ع 12 . ص 30 لسنة 1961 .

في حي بارباس في حي بالفيل

شعر : فضيلة الشابي

مطر ، حقد ، غيوم ثقيله فى حى « بارباس » فى حى « بالفيل »
استريحوا يا أصدقائى سأحرسكم هذه الليله
على بابكم سأسطع قمرا شرسا
ولدوا ، ولدوا أحلامكم
فما العمر إلا ليله ..

فى هذه الطرقات المجرمه
أجسامكم الجميله الفتيه تتوهج ثم تنطفى ، نجوم ميتة ..
فى الليل تسافرون ، تعودون فى الليل
ألم تنته بعد رحلة العذاب ؟
آه ! ما أتعس انسان بلادي ! !

مطر حقد غيوم ثقيله فى حى « بارباس » فى حى « بالفيل »
استريحوا يا أصدقائى
قسما لن يطأ عسس الليل قلوبكم
لن يبعثروا أحلامكم أدباشكم على مدارج العمارات القديمه
لن يتزحلق زبانية الليل فوق دموعكم المتجمده ! !
فى طرقات هذا الحى أطفالكم تلقن الأطفال
جغرافية الغرب ؟ : صحارى من العذاب !
حشائشها اليابسة ؟ : أجسادنا !
رمالها المتحركة ؟ : أحلامنا !
صحارى ، صحارى جغرافيه الغرب ! !
تاريخه ؟ : أشرطة من حديد

تملح ، تعلق فيها جلود العبيد الجدد ! !
صحارى مدن الغرب !٠٠

من نوافذكم أطلت طفلة شقراء
أرعبها لون شعركم الاسود
توهج الاصفرار على أجسامكم
ففـرت
لم تستطيعوا ملاحقة العبير فبكيتم
أيتها المدينة ـ الرقم أتعلمين ما معنى أن يبكى الرجال ؟ !
مطر حقد غيوم ثقيلة فى حى « بارباس » فى حى « بالفيل »

أضربتم اليوم عن العمل
وبدون أن تشعروا انتصرتم
وتناثرتم فى الطرقات زهور برتقال
انتصرتم
اخضرار الشجر أنبأنى بالخبر ٠٠٠
مطر فى حى « بارباس » ، أجسادكم أوراق صفراء تصفعها الريح
لكن قلوبكم شاسعة
لكن قلوبكم شلالات من الكبرياء
ها هو ذا صوتنا يا اخوتى
تفتق من الحلم وطار
حط على ناطحات السحاب على المصانع وغنى :
فى يدى تتفتح مدن الغرب
تكبر تكبر زهور الحديد
نهر « السان » اقتحم شراييني
ترى أين أنت يا دمى المنفى ؟
كل شىء موجود هنا

إلاى ! !

إلا وطن أخفته عنى موجه ..

تفجر الصوت تحول الى شعاع شرقى

أحرق المدينة وغنى :

ـ هل بكيت حين اشتد بك العطش فى مناجم الملح

هل شربت دمك القانى لكى تبقى

ـ لا .

ـ إذن لم تعرف الألم !

ـ هل علقت فى جدران العصر

فرجة للعابرين ؟

هل عرفت الوجه الآخر للانسان ؟

ـ لا .

ـ إذن لم تعرف الألم !

ـ هل عميت عيناك عن جمال العالم

ـ لا .

ـ إذن لم تعرف الألم !

ـ هل أرجحوك بين الموت والحياة

هل جددوا جلدك لكى تتعذب من جديد

ـ لا !

ـ إذن لم ولن تعرف الألم ! !

مطر ، حقد ، وصوت مثقل بالشمار فى حى «بارباس» فى حى «بالفيل»

صوت رشنا بالنبوءة وطار

باريس 1975

ف. ش.

عندما تصهل الجياد

قصة بقلم : محسن بن ضياف

قال وهو ماسك بذراعه ، وعيناه تنظران بعيدا تعانقان النهر :

ـ عندما يجف ينقلب الى اخاديد من تراب ورمل تمتد اميالا واميالا طولا وعشرات الامتار عرضا ٠ لم نترقبه ولم نكن على موعد معه ، يأتي فجأة ويذهب كما جاء فجأة تاركا خلفه آثاره ٠٠ بصمات أصابعه ٠٠ أخاديد في الارض وجسورا محطمة مهشمة كأنها من ورق مقوى ٠٠ وصفرة فاقعة تعلو وجوه سكان المدينة ٠

تخرج اليه زرافات رجالا ونساء لا يخرجن الا عندما يقدم النهر ، يخرجن اليه يتفرجن عليه يمكثن الساعات يتجولن على ضفافه ، وتملأ الرهبة قلوب الرجال والنساء والاطفال على حد سواء ٠

قال ذلك وهو ينتقل ببصره بينه وبين النهر بينما تملأ السماء الملبدة بالغيوم عينيه النابئتين ويغرق هواء النهر رئتيه ٠

تذكر جواده الذى تركه يئن فى الاسطبل فأحس بحزن جارح يطعنه فى صدره ويفسد عليه هذه اللحظة ٠٠ برز الشعر الاحمر جميلا لماعا ، الشعر الطويل يتهدل فوق عنقه وجبهته نظر اليه وارسل صهيلا متقطعا واهنا ٠

ارتفع مع السحب المتراكمة صوت غرد يصل واهنا الى آذانهم يشدو فى شجن :

فى كل يوم مع الاحباب لذات فليس فى العيش مسرور اذا فاتوا
وكل خل وان دامت مسرته لا بد أن تتقاضاه يوما المساآت

قال وقد حول بصره عن الجواد واصطدمت عيناه بعنف بالمياه الطينية :

ـ كلنا نخافه٠لكنه خوف ممزوج بالمحبة والاعجاب، كالعملاق يمتد بجسمه وذراعيه يغرق اطراف المدينة وتهب النجدة من كل مكان ٠ يسارع الرجال

يرمون بانفسهم فى مياه النهر التى اغرقت الشوارع ٠ يأتى الحرس والجند بسياراتهم الثقيلة وثياب الميدان ، ثياب مناسبات هى الاخرى ٠٠ يتدفق ماء النهر المشبع بالطين والوحل الى خاصراتهم وتمتلىء الاعين بالدموع ٠

فقد دخل النهر المدينة انه اشبه ما يكون بعفريت الصين الخرافى ذى الرؤوس المتعددة ، يطوق المدينة بذراعيه ٠ يرتجف القوم يصيبنا الرعب ننجد المنكوبين ثم نخرج اليه نتجول على ضفافه نمتع اعيننا بمياهه ونمد ايدينا للمسها ٠

يلقى بعض الشبان يسبحون بمهارة انفسهم فى مياهه ليسترجعوا أشياء جرفها النهر فيبتلعهم ويحملهم بعيدا ٠٠

تهدج صوته امتزج فى عينيه بريق لم يستطع ان يتبينه ـ صمت ـ تذكر شبابه عندما كان حوذيا فى المدينة الكبيرة فقد كانت تتملكه رغبة مجنونة كلما هبت العواصف واشتد صوت الرياح وعويلها بين العمارات ليلا وتهاطلت الامطار بغزارة فيرتدى معطفه الجلدى الاسود الطويل ويخترق شوارع المدينة تطير به حوافر الخيل لا يبحث عن حريف وانما هو يجرى ويجرى تحت المطر كما كان يفعل بين الحقول وهو طفل صغير وكأنما خيوله تشاركه متعته فهى بدورها تنطلق وكأنها فكت من عقال وقد ارخى لها العنان ويرتفع صوته مجلجلا فى الليل العاصف :

(أولا ٠٠ أولا ٠٠ أولا ٠٠ !) ويفرقع سوطه فى الهواء مرات متتالية ، وحوافر الخيل تصطدم بالاسفلت فى حدة وعنف ، وتغزو المياه أجسادها فتغرقها ٠

اصبحت عدسة الكاميرا موجهة الى الارض الطينية ٠ سأله الشاب فى حيرة :

ـ والشبان الذين حملهم النهر ؟

ـ نعم كأنه اله من الآلهة القديمة لا بد له من قرابين بشرية يلتهمها ثم يلفظها جثثا هامدة عند مصبه او عند منعرج من منعرجاته البعيدة ، نتحدث عن الموتى ٠٠ نذكر انهم صبيان او شبان ، نذكرهم بأسى وحسرة ، ولكن لا نلقى باللوم على النهر لانه ضيف ٠٠

يرسل القمر أشعته ٠٠ تتالق النجوم فى السماء ونحن ما زلنا نتجول بين شاطئين وهو يرسل صوته الغاضب ، ويحمل كل شيء فى طريقه : اكواخا

حيوانات طرقات عربات جسورا وبشرا • ولكن لا نفارقه لحظة • عندما نعود الى بيوتنا نراه فى الحلم بأشكال مختلفة •

مرت مجموعة من الصبيان تعلقت أبصارهم بهما لحظة ثم تركتهم لتواصل طريقها تغوص اقدامهم الصغيرة فى الوحل ويتصايحون فى مرح ، الاشجار منزوعة الاوراق غارقة الجذوع الى اواسطها فى المياه الطينية ، ادخل صبى سبابته وابهامه فى فمه ونفخ فانبعث صفير حاد امتد طولا وعرضا كالنهر وملأ الافـق •

بدا له وهو ملتف ببرنسه بقامته الطويلة انه رآه قبل ذلك•تساءل : (أين رأيته ؟) توقفت ذاكرته لحظة عند حلقة تنعكس عليها الاضواء العارمة وتلتهمها الاعين اللاهفة•طويلا مديد القامة ماسكا عصا معدنية بعيدة الاطراف ليحافظ على توازنه بينما أخذت خطاه تتحرك بخفة فوق سلك معدنى يرتفع امتارا عن الارض • اغمض عينيه حتى لا يراه يسقط من شاهق ، ادميت الاكف تصفيقا • وعلى صوت موسيقى نحاسية صاخبة •

ـ ألم تشتغل فى السرك منذ بضع سنوات ؟

نظر اليه الشيخ ، لم يدرك العلاقة بين النهر والسـرك وحـاول ان يربـط بينهما ، قال فى نفسه لعله يشبه النهر بالمهرج : يا له من تهريج •• قال فى عدم رضى :

ـ هل رأيت مهرجا فى سرك ما بنفس العنف ، صحيح أن المهرج يضحـك الناس ولكن هذه قوة الضعيف الذى يضحك الناس من نفسه ام لعلك تشبهه بالـوحش •

ـ أنا أتحدث عنك لانه يخيل الى انى رأيتك تقوم بدور فى منتهى العنف والخطورة •

ـ فعلا هذا هو المؤلم لاننا لا نتفطن للخطورة الا اذا كانت فى السرك او فى السينما ، بينما الحياة ارض مزروعة الغاما ومخاطر الحياة سرك فيها بهلوانيون ورياضيون ورياضيات حسان ومروضو وحوش وقردة وسباع ودببة ولكن••

صمت ـ سمع للمياه صوت متهدر ـ نظر الى بقايا اعمدة الهاتف المقطوعة •

قال الشاب وقد استقرت عيناه على اسلاك ممزقة :

ـ هل سيظل النور مقطوعا مدة طويلة ؟

ـ لا نتساءل عن التيار الكهربائى الذى انقطع منذ بضعة أيام متى يعود ولا عن الهاتف ولا عن الماء الترابى اللون ، نسأل فقط عن النهر ، ماذا قال الحرس عن سيره ٠

صمت الشيخ تعلق بصره بشارب الشاب تذكر مرة أخرى شبابه وقال :

ـ لكنه حدث يأتى مرة كل سنة اننا غدونا ابناء للمدينة والنهر تفرح بـه العروس وتغتبط ويترك ما يتركه فى النفس العتاب واللوم والشـوق والقبـل والعناق الحار ٠ يخرج مهندس المياه مكور البطن داكن السمرة قـد تـداخلت عيناه فى حول قبيح يقطع المدينة طولا وعرضا ينظر الى آثار النهر ويقنع نفسه بأنه استعد له ولولا الرباط المحكم من السدود الذى احاط به المدينة لذهبـت المدينة ولجرفها النهر ولكنه انفلت من جهة واحدة فقط ـ الله هو الغالب ويقول الناس عكس ذلك ٠٠ انه لم يأت على هذه الصورة من العنف منذ نيف وعشرين سنة ٠٠ يرددون نفس الكلام كل عام ٠

مد ببصره الى المدينة البيضاء الجميلة وارتسمت ابتسامة عـلى شفتيـه فتقلصت التجاعيد شيئا ما ، تقشعت سحابة الحزن التى تطل من عينيه ٠

عانق فى شوق بيوت المدينة ومآذنها وقبابها وسورها المتحفى ٠ عاد الصوت الشجى خافتا تحمله الرياح متدافعة فى لين الى الآذان :

وأسـأل السفـن عن أخبـاره طمعـا   وأنثنـى وفـى القلـب منـه لوعـات
هل من رسـالة حـب أستعيـن بهـا   على سقامـى فقد تشفـى الرسـالات

قال : مدينتنا حصينة بأسوارها العتيقة التى رممت فانبعثت حية من باطن التاريخ لينعم السائح بمشاهدة آثارها القديمة فيطوف باعجاب بسورها المنيع الذى لا يستطيع النهر اختراقه فهو اقوى من سدود مهندس المياه وعلمه فيحمى بيوت مدينتنا العتيقة من مياه النهر المتدفقة على الشوارع الحديثة خارج السور فننعم بالدفء وتهدهدنا أخبار الماضى المجيد وتخدرنا كؤوس الشاى الصغيرة فنزداد شجاعة وتمتزج فى اعماقنا الفرحة بالخوف امتزاجـا أمينا صادقـا لان النهر يحيط بمدينتنا من جميع الجهات ٠ لا نتصل بالخارج الا عن طريق طائرة عمودية واحدة تحلق فى سماء رمادية داكنة بصوتها المزعـج تطن فى آذاننـا طنين ذباب الخريف الشرس المؤلم اللسع ٠

يتحلق الاطفال فى الازقة والانهج الملتوية الضيقة يتفرجون على هذه الذبابة الحديدية الكبيرة فى اعجاب وتعجب ، وننظر اليها نحن الكبار على انها خيط الامل الذى يربطنا بتراب الوطن ، فهى طورا محملة بالادوية وطورا بالاغذية وطورا برجال الدولة جاؤوا يواسون المدينة المنكوبة · فيزداد فرحنا ويطغى سرورنا على خوفنا انها من مظاهر الاحتفال بعرس ـ المدينة والنهر ـ ويرتفع موج الجنس والميل الى المتعة فى اعماق المرأة فيقضى الازواج ليالى من الدفء والمتعة تذكرهم بشهر العسل وتعيد اليهم غرام أيام الزواج الاولى المشبوبة العاطفة ··

صمت، علت ابتسامة واهنة شفتيه· تذكر نفسه عندما كان بالمدينة الكبيرة كلما انهى عمله آخر الليل يعود وجياده الى الاصطبل حيث يقيمون معا هى اسفل وهو فى سدة من خشب يشرف عليها من فوق لمجرد صهيل يستيقظ من نومه يسرع اليها يتفقدها يحنو عليها كالام الرؤوم · وعندما تتوق نفسه الى لحظات من المتعة يدعو احدى بنات الهوى الى بيته الجماعى فتجفل ويصيبها شىء من الاشمئزاز ثم يطيب لها المقام فتألف المكان ويربط بينها والجياد نوع من الود فيألفونها يحركن رؤوسهن وارجلهن سعادة ويرسلون صهيلا خفيفا عند رؤيتها ·

ويطيب لبنات الهوى الجنس عندما تكون الجياد منغمسة فى تنفسها الطويل واجترارها وصهيلها الخفيف · ويزداد طرب الجياد وحركة رأسها الذى ترفعه عاليا بينما كانت عيونها الكبيرة تمسح المكان وتكشف عن اسنانها الجميلة عندما يغتسلون معا يقفون جميعا وهم عراة تحت الماء المتدفق بقوة من الانبوب البلاستيك ويتداخل ويتمازج الصهيل والضحك والاجساد فى جرأة ونشوة ··

نظر الى الشاب أمامه وكأنه جندى مسلح موجها عدسة الكاميرا الى النهر ينظر من خلالها الى كل شىء بدا له كأنه يطلق النار من فوهة رشاش أوتوماتيكى على النهر ·· احس الشاب بنظراته انزل الكاميرا قال فى صوت فيه جد ومزاح :

ـ قصتكم قصة مع النهر يخيل الى احيانا انه لو امكنكم لتوالدتم على ضفافه، وتمتم فى قدسية وتعبد ··

حرك الشيخ رأسه وملأ عينه من الشارب الاسود والوجه الطليق كأنه يستمد شبابا متجددا وابتسم فى صمت · انشغل الشاب بالكاميرا خرج الفتيان والفتيات من المعاهد · قطعوا شوارع المدينة سراعا نحو النهر ، يتجولون على

ضفافه تداعب الريح الشعور الناعمة المنسدلة تدغدغ روائح الطين والماء الانوف وتتلاقى الاعين المكحولة بأعين شابة نهمة ويمتد الحوار الصامت ٠٠

ــ لو كنت مثل هذا النهر العظيم الفاتح ذراعيه لاحببتك وتركت رأسي المليء بالاحلام يرتاح على صدرك الذى يملأ السهل والوادى ٠ لكنك ما زلت فتى غضا غرا لا تقوى على الوقوف أمام موجة من موجاته ٠

ويشيح بوجهه وهو يقول ٠٠

ــ كونى المدينة أكن النهر العظيم الصاخب الثائر وأفتح ذراعى لاحتضنك فى حنان أنعم بالعطر المتضمن شعرك الناعم ٠

٠٠ وتتحرك الخطى متباعدة ويضم الفتيان كتبهم الى صدورهم وقد خدشوا فى رجولتهم وتزداد الفتيات تيها وتناطح صدورهن الغضة السماء ٠ قال وهو يحتضن الشبان بعينيه :

ــ انهن بنات المدينة قد تقمصن روحها وخرجن الى النهر يستقبلنه بحرارة وكبرياء ودلال واهداب مرتخية تملأ الافق ضلالا وارفة ٠

عدل برنسه ، أنزل أحد الجانبين ثم لفه بسرعة حول جسده وظهرت ابتسامة هادئة وأردف :

ــ قد يأتى النهر ليلا والمدينة يلفها وشاح الاحلام فلا يرضينا ذلك لـذا تخرج سيارات تحمل ابواقا تعلن بصوت مرتفع عال بان النهر قادم الليلة وعلى كل من يسكنون بجواره ان يبارحوا بيوتهم فيختلط الفـزع بحب الاطلاع ويخرج الناس زرافات نحو المدينة العتيقة يحتمون باسوارها ٠

وكما كان المنادى قديما يركب على دابة يجوب المدينة ليعلم النـاس بالخطر المحدق بهم كذلك تظل السيارة تنتقل من حى الى آخر وبوقها يرتفع منذرا كى لا يأخذهم النهر وهم نائمون ٠

تنتصب بطاريات النور الضخمة على ضفة النهر كالمشاعل تنير الطريـق أمامه ويأتى فيسمع له دوى يملأ ارجاء الليل والنفوس ويقتلـع اعمـدة النـور فيغرق المدينة فى الظلام فتتجمع فى غرف تضاء بسرج تكاد تضىء ترسـل انوارها الهزيلة فترتعش على الجدران وتلقى ظلالا غريبة على الوجوه ٠ فنتذكر اهوال الحربين العالميتين ونقسم فى الحجرة الواحدة الى شقين شق سـاخر

يرى التغلب على النهر ميسورا بفضل جسر عظيم أو سدود بعيدة عن المدينة توزع مياه النهر على الاراضى المجدبة العطشى وهم الفتيان اما الشق الثانى فهم الكهول الذين اكتسبوا تجربة ويرون ان النهر قوة لا تقهر لا يحدها جسر ولا سد ٠

بينما يحاصر الوحش الخرافى المدينة ويرتفع صوته عاليا يدخل كل بيت وحجرة ينادى انثاه فى صوت قوى جبار يعانق المدينة يضمها بقوة الى صدره وتكون ليلة عرس ٠٠

وقبل بزوغ الفجر ينسحب الى مجراه تاركا بصماته على خديهـا وصدرهـا وصفرة فاقعة على الوجوه من طول السهر كشأن كل ليلة عرس ٠٠

نسارع اليه نودعه ويسير صاخبا نحو البحر ليعود فى السنة المواليـة فى أيام كتلك الايام وقد يعود مرة أخرى فى نفس السنة اذا اشتد به الشوق وغلبه الحنين يطول سيره نحو مصبه أياما هى اعياد بالنسبة الينا لانها دليـل عـلى الخصب واللقاح المثمر ، فقد يستولد المدينة هذه الليلة قمحا وشعيـرا يمـلأ السهول والاودية المترامية سلاسل من نضار ولجين نحبها نحن البشر ونصنع منها حليا تطوق المعاصم وتوشح الصدور ٠

صمت وانقلبت تلك النظرة التى يطل منها الانشراح الى وشاح من الحزن يلف عينيه ٠

علا صوت جواده يئن فى وهن فى أذنيه ، كان أنينا جارحا ٠ أسدل أحـد طرفى البرنس أخرج حقة معدنية مستطيلة فتحها أخرج ورقة للف التبغ ثم التقط بين أصابعه كمية من التبغ وضعها وسط الورقة رفع جانبيها ثمادارها باحكام رفعها الى لسانه مر به على الورق الرفيع ثم ضغط قليلا على جانبيه بأنامله ٠

ازداد صهيل الجواد احس كأن أيد قوية تجره الى الماضى تغرقه فيه ٠ عاد من المدينة الكبيرة أقام منزلا فى اطراف مدينته الصغيرة شـرع يربـى الخيـول يختارها فى سن مبكرة يطعمها ويمرنها على السرعة يحمل كل بضعـة اشهـر اثنين أو ثلاثة منها الى المدينة الكبيرة حيث يعرف هواة جياد الخيل فيبتاعونها بارفع الاثمان ٠ تزوج فتاة من ريف المدينة أقاما معا مع الجياد هى اسفل وهمـا فى السدة الخشبية فوق ٠ هناك انجبا طفليهما ، وهناك ترعرعا ونشآ يلعبان مع الجياد يمتطيان ظهورها ٠ يتألمان ويبكيان كلما حمل بعضها الى سوق المدينة الكبيرة ٠ ثم سرعان ما يسلوان عندما يجلب لهم جيادا أخرى أصغر ٠

ازدادت السحب كثافة صرخ الرعد فى فرقعات متتالية كأنه يتجاوب مع صوت المياه المتدفقة فى قوة وغزارة سيلا غاضبا ٠٠

رفع بصره اليه وابتسم قال :

ـ يعجبنى ان اعد سيجارتى بنفسى تعودت على ذلك منذ أخذت أدخن خلسة عن الكبار وظللت محافظا على ذلك وقد اصبح الصغار *يدخنون* خلسة منى ٠

استوت السيجارة بين شفتيه اشبه ما تكون بعرف شجرة طرى غض ، اشتعلت النار لحظة فى آخره كفتيل هزيل ثم سرت فى التبغ جذب نفسا عميقا نفثه فانبعثت سحابة بيضاء من بين شفتيه ٠٠

كبرت مدينته الصغيرة وكبرت وتجاوزت البيت الاصطبل فى اطرافها حتى اصبح فى احد اهم شوارعها فمنعت عليه البلدية حياته الجماعية لانه لا يجوز صحيا ان يقيم الانسان والحيوان تحت سقف واحد ٠ قال متساءلا :

لماذا ألم أعش معها خمسة وعشرين سنة بدون انقطاع دون ان اصاب بأذى ؟ لماذا فرقونا هل هى مضرة الجياد ؟٠٠

ترك البيت واجر بيتا صغيرا قريبا منه فما لذ له المقام ، كبر الاطفال وارتحلوا ٠٠ على الى المانيا وليلى الى المدينة الكبيرة مع زوجها وارتحلت العجوز الى الابد ٠٠

ـ انتقل هو ليقيم مع فرس عجوز فى الاصطبل مع صديق قديم ٠٠

أحس الشاب بدوره برغبة فى التدخين اخرج سيجارة وانبعث الدخان من بين شفتيه كثيفا تدفعه الرياح بعيدا ٠

المياه طينية جارفة تعلقت بها عينا الشيخ فى هيام مرت فى حنان على الامواج . طال الصمت بينهما كل منهما يمتص السيجارة فى عذوبة لا متناهية كمدخنى المخدرات ٠

عاد للمكان هدوؤه فقد ولى الفتيان والفتيات تراجعوا الى بيوتهم تتنازعهم العواطف وتستبد بهم الاحلام ٠٠

قال الشيخ : اظنك معجبا بنهرنا ، انه ليس نظيفا لكنه ليس اكثر قذارة من اشياء كثيرة تعيش بيننا فهو لن يطول به الامر حتى يعانق البحر او يغمر صدر الارض فيستحيل الى حياة نقية طاهرة ٠

ــ أحب الانهار ولكن نهركم مخيف مزبد مرعب ٠

ــ لا شيء مما تظنه فهو لا يخيف ولا يرعب الا كما يرعب الرجل القوى العنيف الذى يوحى بالثقة والأمن اكثر مما يوحى بها أى كائن ضعيف (ارتسمت ابتسامة على شفتى الشاب) لحيته الكثة تحيط بوجه مستدير فى جسم قوى شعره يتهدل حتى ياقة جمازته الجلدية ــ مرت أمام عينيه عواصم الدنيا التى تشقها الانهار باريس ــ نيويرك ــ القاهرة ــ بغداد ــ موسكو ــ لندن ، فقد كانت تضفى عليها جمالا خاصا ــ قال :

ــ انى أحب الانهار

ــ لقد خمنت ذلك والا فما الذى قذف بك الى هذه المدينة المحاصرة التى تملأ أخبارها الصحافة والاذاعة والتلفزة ٠

ــ انى جئت لعمل فنى بحت ٠٠ انى فى حاجة الى مناظر واظن انى احسنت اختيار هذا الحدث ٠

أحس الشيخ بخيبة امل ــ ظل يلتهم بشفتيه بقية سيجارته وتاهت عيناه من جديد فى المياه ٠

انزل البرنس البنى اللون عن رأسه عدل شاشيته ــ أبعد البرنس عن كتفيه ٠

برزت بدلة صوفية عتيقة اصاب اطراف اكمامها وياقتها البلى ، قال الشيخ فى شيء من عدم استقرار الافكار :

ــ هل أخذت مناظر كثيرة

ــ نعم بل لعلها اجمل مناظر طبيعية فى السينما سوف تحدث ضجة عند ظهور فيلمى ٠

ــ انت سينمائى محترف ؟

ــ هاو ومحترف

ـ غير مفهوم

ـ لانى انتج افلاما على حسابى حسب ذوقى اتباعا لهواى واتجاهى لا يهمنى فيها الربح ، كما انتج افلاما أخرى على حساب غيرى لا يهمهم فيها الا الربح ٠٠ ترى انى اعانى من انفصام الشخصية ٠

تدفق صوت المنشد فى قوة ووضوح كأنه يندفع مع مياه النهر الغاضبة الثائرة

انى لأضما والأنهار جارية حولى واضحى ودون الشمس دوحات
ولا ارى الموت الا باسطا يده من قبل ان يمكن المأسور إفلات

بدا وجه الشيخ الترابى كأنه قطعة من الارض بانفه المعقوف وفمه الادرد ، وذقنه العريض ، انه ابن الارض سليلها ، فهما يشتركان فى الملامح ، مد بالبرنس الى الشاب الذى كان ماسكا بيمينه الكاميرا فأخذ البرنس بشماله ، سأله :

ـ الا تشعر بالبرد ؟

قال الشيخ وقد التمع فى عينيه بريق ساحر -

ـ انى ذاهب

ـ الى أين ؟

لم يجبه اتجه باقدام شابة قوية نحو النهر دخله وأخذ يعبره فى اندفاع وقوة اندهش الشاب لم يفهم شيئا ٠ فجأة غمرت المياه الشيخ ودفعته بقوة ٠ انزعج الشاب القى بالبرنس على الارض وضع الكاميرا فوقه ، اندفع نحو المياه أيموت رجل أمامه انها لا شك تجربة مريرة وضعه النهر امامها ٠٠ اندفع بكل قواه يخترق المياه اللزجة الطينية الثقيلة ، أخذت المياه تدفع الشيخ بعيدا ، لما كاد ان يدركه ، تغلبت المياه عليه ٠ تذكر انه لا يحسن السباحة واشتد النزال ثلاثيا وتتالت امواج خلف امواج عنيفة عاتية ٠٠

هرع طفل صغير روعه المشهد يطلب النجدة عندما قدم القوم كانت المياه الطينية تمتد على امتداد البصر لا يكدر مجراها عائق ٠ على الضفة كان البرنس والكاميرا ساكنان ، عقدت الدهشة السنتهم ، أخذت أعينهم تدور حول نفسها ٠

تنطلق من النهر الى البرنس والكاميرا ومنهما الى النهر فى قلق غامض صاح صوت : لنجر مع النهر .

تحركوا فى خطى متثاقلة مهرولين ثم أخذوا يعدون . تعالى لهاثهم ، سال عرقهم ، تمزقت المزن فارسلت امطارا غزيرة ـ اختلط العرق بالمياه فوق اجسادهم ، ارتفع صهيل فرس خلفهم ، فرس شعره احمر لامع كانت حوافره تنطلق فى الهواء قبل ان تلامس الارض الطينية تجاوزهم ، ازدادوا سرعة كونوا كوكبة خلفه . التحقوا به ساروا معا سمع صوت يناديهم عودوا .. عودوا .. عودوا ..

لاحقهم صوت المنشد صادحا كأنه يتدفق حولهم مع مياه النهر :

انـــى لأظمـأ والأنهـــار جاريـــة   حولى وأضحى ودون الشمس دوحات

تبين لهم انهم لا يستطيعون العودة ولا التوقف اشتد عدوهم اختلط ضجيجهم بلهاثهم بعرقهم بصهيل الفرس الاحمر اللامع الشعر ، فهم مدفعون منجذبون لا يستطيعون التوقف او التأخر .

أحسوا بأنهم استنفدوا كل طاقاتهم أخذت خطاهم تتثاقل فتغوص فى الارض والوحل والطين وتغوص اجسادهم شيئا فشيئا وهم يضحكون ويلهثون ..

لم يعثر لهم على اثر منذ ذلك اليوم وانما عثروا على خيالهم وهم يعدون فى صور باهتة عند تحميض الفيلم الذى فى الكاميرا التى وجدت فوق البرنس على ضفة النهر وهو الذى دل على الحادث ولكن لم يدل على المكان . لانه لا مكان ولا زمان محدد تصهل فيه الجياد وتغوص فيه القامات فى الطين على ضفة النهر .

م. ض.
القيروان

ودقت اجراس الغربة ...

شعر : عبد القادر بن شرودة

كُنْتُ – يَا طَيْرُ إذَا حَلَّقْتِ أسْرَابا عَلَيَّ
أتَمَنَّى أنْ تَظَلِّي هَا هُنَا
خَوْفا عَلَيْكْ ،،
كُنْتُ أخْشَى أنْ تَمُوتِي فَوْقَ أسْلاك غَرِيبَهْ ،،،
فَتَنُوحِينَ قُبَيْلَ المَوْتِ ،،
شَوْقا لِرَوَابِينَا الحَبِيبَهْ
هَا أنَا يَا طَيْرُ – وَحْدِي
أتَخَطَّى حَاجِزَ الرَّهْبَةَ
لاَ يَبْكِي عَلَيَّ
وَطَنِي الأحْمِلُهُ فِي العَيْنِ أحْلاَمَا خَصِيبَهْ
هَا أنَا – يَا طَيْرُ
أمْضِي ،،
نَافِضا مِنْ رَمْلِ أوْطَانِي يَدَيْ
كُلَّ مَا أحْمِلُهُ ،،،
صَلَوَات ،، وَابْتَهَالات نَبِيَّ ،،،

●

وَيَدُقُ الجَرَسُ الأوّلُ ،،
يَسْتَيْقِظُ حُرّاسُ السَّوَاحِلْ :
– نَوْرَسٌ حَطَّ عَلَى أبْرَاجِ قَرْطَاجَ ،، يُوَدّعْ

قِيلَ : فَلْيَمْضِ نَتِيفُ الرِّيشِ
مَنْ لاَ رِيشَ لَه
أبدا في الأرْضِ رَاحِلْ
وَعَصَيْتُ الدَّمْعَ يَا قِرْطَاجُ
بَخَّرْتُ لأجْلِ العَوْدِ رِيشَاتِي
وَحَدَّدْتُ المَرَاحِلْ
بَيْنَنَا لِلشَّمْسِ مَطْلَعْ ،،
فَلأوَدِّعْ ،،،
إنَّ مَنْ لاَ رِيشَ لَهْ
أبدا فِي الأرْضِ رَاحِلْ .

●

حِينَمَا فَاجَأنِي حَقْلٌ مِنَ القُطْنِ
وَطَافَ الغَيْمُ حَوْلِي
كُنْتُ فِي مَا يُشْبِهُ الحُلْمَ الضَّبَابْ
وَتَحَسَّرْتُ عَلَى سُنْبُلَةٍ أحْمِلُهَا
أوْ زَهْرَةٍ مِنْ أيِّ حَقْلِ
عَلَّهَا إنْ أشْفَقَتْ تَسْكُنُ لِي
وَلَهَا أسْكُنُ إنْ طَالَ الغِيَابُ
آه ،،، مَا أتْفَهَنِي
لاَ وَطَنِي يَشْعُرُ بِي
لاَ أنَا أفْرَحُ بِالشَّمْسِ
عَلَى مُهْرِ السَّحَابْ .

●

«إنْ قَلْبِي يَنْمُو فِي هَذِهِ الآونَه
وَهُوَ الَّذِي يَخْفُقُ فِي العَالَمْ» *

●

ضَيِّقٌ مَضْجَعُنَا
سَيِّدَةَ العُشَّاق
وَالفُلْكُ عَلَى رَغْمِنَا تَبْقَى ضَيِّقَهْ *
فَلْيَكُنْ مِنْ غُرْبَتِي هَذِي ،، اتِّسَاعُكْ
وَلْيُبَارِكْنِي هَيَامَاكَ
جِيَاعُكْ
سَوْفَ لَنْ يَفْتَقِدُوا الحُبّ
وَلَنْ يَرْفُضَهُمْ قَطّ اتِّسَاعُكْ
نَهْدُكَ الآنَ ،، عُيُونُ مُغْدِقَهْ
وَعَلَى البَحْرِ اضْطِجَاعُكْ .

●

إنّ صَوْتِي — الآنَ — مِنْ مُسْتَنْقَعِ الذَّاكِرَةِ الأولَى
،،،يُهَاجِرْ
نَوْرَسًا يَفْتَحُ للشَّمْسِ عُيُونَهْ
يَمْلِكُ البَحْرَ ،،
وَيُوحِي بِهُبُوبِ الرّعْبِ فِي سَاحِ المَدِينَهْ
فَامْنَحِينِي الشَّهْوَةَ الأولَى ،، لِمَلاحٍ مُغَامِرْ
وَلْتَكُونِي لِي سَفِينَهْ .

(*) الشاعر البرازيلي الصوفي : أميليو مورا Emilio Moura
(*) عن « سان جون بيرس » .

لَيْسَ جُبْنَا ،،، إنْ يَكُنْ مُنْطَلَقَ الفِكْرِ الصَّمُوتْ
فَلَكَمْ عَلَّمَنَا الصَّمْتُ
وكَمْ دَرَّبَنَا ،،، كَيْفَ نَحْيَا إذْ نَمُوتْ .

●

يَا الَّتِي تَمْنَحُنِي دَمْعَتَهَا
القَسْوَةَ
والصَّوْتَ الرَّجُولِيَّ الذَّهِيبْ
يَا الَّتِي – كَمْ مُهْجَةٍ فِي رَمْلِهَا
لَمَّا تَزَلْ حَمْرَاءَ حَيَّهْ
يَا الَّتِي أيَّامُهَا ،، مَهْمَا عَشِقْنَا النُّور
تَبْقَى وثَنِيَّهْ
آمنحينِي الشَّوْطَ ،،
إنِّي أتَنَاهَى للغُرُوبْ
يَتَنَاهَى العُمْرُ بِي
مِنْ قَبْلِ أنْ أخْتَرِقَ الصَّمْتَ – شَظِيَّهْ
يَتَنَاهَى العُمْرُ بِي ،،،،
يَا لاحْتِضَارِ العَنْدَلِيبْ !!.

●

تَحْفُرُ العِلَّةُ قَلْبِي
تَمْلأُ الوَحْشَةُ دَرْبِي
وَبِرَغْمِ الدَّاءِ والغُرْبَةِ
مَازَلَ الهَوَى قَبْضا ،،
فَفِضْ يَا بَحْرَ

وَاعْنُفْ أيُّهَا العِشْقُ المُحَاصَرْ
أيُّهَا البَحْرُ امْتَلِكْنِي
خَلِّنِي أفْتَحْ بِعُمْقِ الأرْضِ جُرْحا
لِيَظَلَّ الجُرْحُ نَاغِرْ
خَلِّنِي أغْتَصِبِ الأرْضَ
وَأعْطِ الأرْضَ لِلْقَلْبِ المُصَابِرْ
عِنْدَهَا يَا بَحْرُ
صُنْ فِي ظُلْمَةِ الأصْدَافِ حُبِّي .

●

أيُّهَا البَحْرُ أمَا مِنْ مِنْ صَهْوَةٍ تُرْجِعُنِي
بَعْدَ اغْتِرَابِي
لِلَّتِي تَحْضُنُهَا فِي سَاعِدَيْكْ
لاَ تَخَفْ يَا بَحْرُ
إنَّ الدَّاءَ لاَ يَقْتُلُ مَابِي
فَلْتَكُنْ صَهْوَتُكَ النَّوْءَ
ــ الرِّيَاحَ
ــ المَوْجَ
يَا بَحْرُ ،،، فَإنِّي لِلْمَطَايَا الثَّائِرَهْ
مُنْذُ أنْ أحْبَبْتُهَا
وَالخَيْلُ غَايَاتِي ــ خِفَافا ضَامِرَهْ
مُنْذُ أنْ أحْبَبْتُهَا ،،،
كُنْتُ لاَ أحْمِلُ زَادًا فِي وِطَابِي
وَابْتِهَالاَتِ اليَبَابِ .

●

فَإذَا حَلّقَتْ فِي أجْوَائِهَا طَيْرًا نَتِيفَ الرِّيشِ
أوْ طَيّرَنِي جُنْدُ السَّوَاحِلْ
فَإليْكْ
أيُّهَا البَحْرُ وَهَبْتُ الفُلْكَ ،،
حَتّى تَتَنَاهَى لِلْهَوَى بَاقِي المَرَاحِلْ
ضُمَّهَا وَأعْنُفْ
وَتَرْ سَاعِدَيْكْ
إنَّ عُرْسَ الطَّيْرِ آتٍ
وَالمَنَاجِلْ
تَقِفُ الآنَ إلى صَفِّ المَعَاوِلْ .

•

أيُّهَا البَحْرُ
لِيَسْكُتْ جَرَسُ الغُرْبَةِ ،،
قَلْبِي يَتَنَامَى
وَعَلَى دَقّاتِه يَصْحُو الزَّبَدْ
فَمَعِي يَا أيُّهَا البَحْرُ ،،
مَعِي وَلْنَتَّحِدْ ..

ع· ش·

المستشفيات بتونس (*)

بقلم الحكيم : احمد بن ميلاد

ـ مستشفى القرسطـون

أسسه علي باي الثاني الذي ساس البلاد من سنة 1172 ـ 1759 الى 1199 ـ 1783 بالعاصمة بمكان يدعى في القديم (ركن قرسطون) (1) وهو بأعلى سوق الوزر بنهج جامع الزيتونة ونهج القصبة • عرف بهذا الموضع الشيخ محمد ماضور الذى حقق كتاب الباشي لمؤلفه الحاج حمودة بن عبد العزيز عند شرح هاته الكلمة التي جاءت في قصيد للورغى ص 319 • وأثبته البحث على عين المكان الذى يوجد به نهج الزياتين • وبرقم (1) من هذا النهج مسجد يدعى

(*) انظر الحلقة الاولى « من المستشفيات بتونس » بالعدد 3 من السنة 18 (ديسمبر 1972) • والحلقة الثانية بالعدد 1 من السنة 19 (اكتوبر 1973) • والحلقة الثالثة بالعدد 5 من السنة 19 (فيفرى 1974) •

(1) القرسطون كلمة أعجمية لم تذكرها قواميس اللغة العربية الا « كتاب اللغة العربية كائن حى » طبع مصر ص 35 لجرجى زيدان • جاء فيه ان كلمة القرسطون مشتقة من اليونانية على حسب الظن ولم يذكر لها معنى وتطلق كلمة قرسطون في اللغة اليونانية على الميزان الذى كان يستعمله العالم اليوناني أرخميدس (Archimède) وهو القبان عند العرب (la balance romaine) وكانت تستعمل لوزن العملة من الفضة والنحاس ـ (ملحق القاموس للمستشرق (Dzyo) دوزى • ج 2 ص 327 بالمكتبة الوطنية) •

ودار السكة كانت بحومة القرسطون وتدعى أيضا ركن القرسطون يشرف عليها السيد محمد القسطلي بمكان دار القسطلي اليوم نهج سوق الوزر عدد 45 أفادنا بذلك أحد أحفاد السيد محمد بن الشاذلي القسطلي وقد ذكر لنا أيضا انه شاهد يهوديين كانا يأتيان يوميا الى الدار لعيار النقود النحاسية (الفلوس) ـ وجاء في إتحاف أهل الزمان لأحمد بن ضياف (ج 8 ص 48) ان السيد محمد القسطلي المتوفى سنة 1257 ـ 1241 ، من اشراف الاندلس واعيان بيوتها ولبيته « ولاية دار السكة والامانة على سك النقدين وعيارهما »

« مسجد القرسطون » قد طمست معالمه الظاهرة واصبح دار للسكنى • وأكد لى السيد محمد القسطلى القاطن بالقرب من المسجد بان لديه رسما عقاريا بركن القرسطون وهو المكان نفسه ونجد وصفا لهذا الحى وللمرسطان فى كتاب « المنضد فى اخبار الباشا محمد » للشيخ محمد بن سلامة (وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية عدد 18668 ورقة 30) جاءت فيه الاشارة الى الحى والمستشفى كما يلى :

« القرسطون حومة مشهورة (2) • بها خان (3) يعرف بالمرستان (4) معد لمداواة المرضى من الفقراء وسجن المجانين ، عليه اوقاف وهو رحمة للمسلمين ،

---

(2) حومة القرسطون لا شك انها كانت مشهورة فى القديم • هناك كلمة تصف بها العامة الرجل من أعيان البلاد وهى : « فلان ولد القبه والقرسطون » يشيرون بذلك الى حى سيدى القبه وهى حى تربة الباى اليوم وبه كانت ولا تزال بيوتات العلماء والوزراء كالجلولى والبناء والنيفر وبيرم وغيرهم• وسيدى القبه مسجد صغير بنهج تربة الباى عدد 41 واسمه فى الحقيقة مسيد القبة بالتصغير وهو الكتاب الذى تعلم فيه القرآن عبد الرحمان بن خلدون وكان بالقرب من بيته (استفدنا ذلك من السيد مصطفى زبيس) وكذلك كان يسكن بحى القرسطون كثير من الوجهاء نخص بالذكر منهم حسونة بن محمود الجلولى قايد صفاقس والحاج حسن التومى من اشراف الاندلسيين ومحمود آغا شقيق الداى ومحمد القسطلى من اشراف الاندلس وكان واليا على دار السكة وسك النقود وعيارها ، ومحمد بن عياد من رجال الدولة • وأحمد ابن أبى الضياف وأخته يملكان عقارا هناك ـ تحققنا كل ذلك من رسوم التملك المسجلة بحى القرسطون الموجودة بادارة الاملاك العقارية •

(3) خان كلمة فارسية بمعنى محل متسع ينزل فيه المسافرون الكثيرون وتدل على مكان متسع لايواء المرضى ، ولم يذكر المؤلف عدد غرفه وعدد المرضى الذين به او يترددون عليه يوميا لطلب العلاج وكذلك اسماء العقار الموقف عليه ومداخيله السنوية حتى نتبين أهميتها خصوصا وان العلاج كان مجانا •

(4) المرستان مكان معد للمداواة وحفظ المجانين • يرجع تأسيس المستشفيات فى الاسلام وكانت من قبل تدعى المرستانات الى القرن الاول الهجرى ببلاد الرى بفارس ثم ببغداد فى خلافة المامون وكان العلاج فيها مجانا للفقراء وبها قسم لحفظ المجانين وكذلك باروبا الى القرن التاسع عشر مع

به المآكل الطيبة والغطاء والوطاء ، وأمين الاطباء (5) منتصب به باتباعه للمداواة مجانا لهم ، وبأجرة من ذلك الوقف ، ولكل من به خبزتان فى كل يوم طيبتان وأربع أواق من الارز المطبوخ بالسمن (6) ، والزيت للوقد ليلا • ولكل من به ما يكفيه من الزيت واللحم فى كل يوم اثنين وخميس مع تنظيف المحل وخدمة من به من المرضى والرفق بهم ومداواتهم وهو من أحسن افعال الخيرات

الملاحظة انها ظهرت فى الاسلام كهياكل حكومية • وكانت فى اول الامر بأروبا وبفرنسا خاصة مؤسسات رهبانية خيرية لايواء العجز والمجانين وعابرى السبيل (Hospice)

وهكذا كان بتونس ملجأ للبعثات المسيحية (Hospice des missions) يشرف عليه هيأة الكبسان (l'ordre des Capucins) تحت رعاية قنصل فرنسا يرجع إنشاؤه الى ما قبل سنة 1219 ـ 1804 وهو كائن بالقرب من فندق الفرنسيس وبه كنيسة لاقامة الطقوس ويديره ستة رهبان وبلغت مشاركة فرنسا فى تلك السنة تسعمائة فرنك ثم نقل الى مكان ضخم واسع • (Plantet, tome III Paris p. 495) أما موقعه فلم نهتد بالضبط اليه • وكل الظن أنه حل مكان قشلة سوق الوزر التى اسسها حموده باشا واندثرت اليوم وحل مكانها المسجد الحبيبى وروضة تلامذة مدرسة نهج سيدى صابر عدد 14 للبنات •

(5) أمين الاطباء : نجد للمرة الاولى هذه الخطة عند الاطباء بتونس وهى موكلة فى غالب الوقت بعاتق أشهر الاطباء بالعاصمة وأمهرهم صناعة كسائر أمناء الحرف الاخرى •

(6) يظهر أن غذاء المرضى اليومى من الناحيتين الكم والكيف حسن • ونطلق عليها اسم « القطعية » (la ration alimentaire) نجد هذه الكلمة فى أغنية من أغانى السجون فى العهد الحسينى وهى :

« إللى عنده مال تاتيه الرجاله من عند الدولة الطاعة • يبيعوا ويشروا بالاف وإللى ما عنده مال هبط معروض فى القطعية • معروض احمر كيف شفت قلبى تقهر • حبسونى فى حبس الدم • عساسه تقفل واتحل • » والمعروض هو نسخة الحكم بطابع الباى لان الاحكام كانت تصدر باسم الباى لا باسم الشعب كما هو الان •

وبه يغسل الرجال الاموات ويكفنون ويقبرون من بيت المال (7) وعلى وقفه قيم وشاهد، به يختن الصبيان والغالب الفقراء،ويكون ذلك يوم عاشوراء وقد يكون في غيره ، ويكسى المختون قميصا وفرملة وشاشية ونعلا ويعطى نصف ريال (8) ، ومن محاسن هذه البلاد وأحكم امره المقدس المولى على باى (9) صاحب الخيرات رحمه الله تعالى كما انه صنع من المعروف مدرسة تعرف بالتكية » .

(7) دفن الاموات بعهدة بيت المال ، وقد جرى به العمل من بعد الاستقلال يوم وقع حل الاوقاف وهى التى ترث كل هالك من غير عقب وليست لها غاية لصرف المال الذى يتجمع بخزينتها .

(8) ختان الاطفال : لم تشر اليه المصادر من قبل الا ما ذكره ح. ح. عبد الوهاب عند ذكر عزيزة عثمانة فى كتابة شهيرات التونسيات بان المرأة اوقفت جانبا من رزقها لختان الاطفال ولم يذكر المورد .

(9) يستفاد من هنا ان المستشفى من حسنات على باى الثانى ويرجع تأسيسه الى سنة 1188 ـ 1774 ، او قبلها بقليل لاننا نعلم ان التكية المشار اليها أرخها الوزير حموده بن عبد العزيز فى آخر بيت لقصيد نقش على وجه بابها هو : 1188 ـ 1773 .
والظاهر ان نشاط هذا المتشفى تواصل الى سنة 1266 ـ 1846 وهى سنة وفاة المؤلف الشيخ ابن سلامة فتكون حياته 68 عاما على الاقل اللهم الا اذا اغلق أبوابه قبل هذا التاريخ خصوصا وان المؤلف لم يشر الى ذلك .

مرثية شهيد

شعر : سعيد تيم

(الدوحة ـ قطر)

« لئن كان الناس يعبرون الى الموت عن طريق الحياة فان الشهيد يعبر الى الحياة عن طريق الموت » .

ارفعوه ارفعوه فوق اعناق الرجال

وازرعوه في جبين الليل نجما في الاعالي
لا تهابوا ... ان في الاعماق جذرا غير بالي
في حقولي في ترابي في سهولي في جبالي
في حصاد البيدر المعطاء في قمح الغلال
في عبير اللون يسري في اخضرار البرتقال
في كروم التين والزيتون في الرزق الحلال

لا تلموا ما تبقى في يديه من رمال
ملء عينيه ابتسام يالعينيه ويالي
ليت شعري أي طيف أي حلم وخيال
أي شوق قد تبدى مثلما عقد اللآلي
فلعينيك تسجى يا فلسطين تعالي
اشهدي اليوم فتاك وتهادي في اختيال
اسألي عنه الروابي كل شعب في التلال
في ليالي الثلج والاعصار في لمع النصال

بين قصف ولهيب ورصاص متوالي
من أمام ووراء من جنوب وشمال
يعبر النهر كسهم لا يبالي لا يبالي
أيها النهر المعنى يا جوادا للقتال
يا نجي العور يا منساب في صمت الليالي
ارو يا أردنُّ سطرا من حكايات الرجال
فلثام الفارس المغوار مخضوب الظلال

★★★

ارفعوه ارفعوه فوق أعناق الرجال
أي أم لم تزغرد أي رأس غير عالي
أي طفل لم يردد عاش أبطال النزال
أي طير لم يغرد في الروابي والجبال
أي نهر قد تنامى فوق مخضل التلال
اسكبي في الساح خمرا يا عناقيد الدوالي
ارفعوه ارفعوه فوق اعناق الرجال

★★★

حين طارت قبَّرات الحقل غنت بانفعال
رب حي عاش ميتا عمره قوت الزوال
وشهيد ليس يفنى راقد في كل بال

س. ت.

في القطار القديم

قصة بقلم : مراد عبد السلام بن عياد

كادت رجلاى تتحطمان ، وركبتاى لا تقدران على حملى من كثرة الدوران ٠٠ ثقل عليهما جسمى رغم خفة جسمى فصرت أحملهما بل أجرهما جرا ثقيلا متباطئا ٠٠ استبعدت المسافة التى لا تزال تفصلنى عن محطة القطار ٠٠ وصرت أنتظر اللحظة التى أصل فيها الى محطة القطار « المشؤوم » فليكن مشؤوما هذا القطار ؛ لم يعد يهمنى من شؤمه شىء ؛فقد تساوت الامور فى نظرى بعد ان لم أجدها ٠٠

لم أجد من كادت رجلاى تتحطمان من أجلها ٠٠

تشتت ما كنت جمعته أمس من بقايا الامل الشاحب ، بعد أن جبت كل شوارع المدينة المكتظة بالخلائق ، ودخلت مرات الى «المونوبرى » لاننى أعرف أنها تقصده كثيرا لتشترى « بنوارا » او « بنتلونا » او « مريولا » ٠٠

ولكننى لم أجدها ٠٠ كأنما الارض ابتلعتها أو كأنما هى تبتلع الارض فى سيرها لانها تؤمن بعصر السرعة وتوقن بضرورة مواكبة الحضارة ٠٠

خاب ظنى وباءت محاولتى بالفشل ٠٠ اذ انها لم تجب شوارع المدينة ولم تدخل « المونوبرى » هذه المرة ، وربما لم تعد فى حاجة اليه وقد تكدست فى خزانتها الملابس الثمينة ٠٠

باءت محاولتى بالفشل ، فرجعت الى محطة القطار اللعين بيد فارغة وأخرى لا شىء فيها ٠٠ كما رجع الاعرابى فيما مضى بخفى حنين بعد ان أتلف بعيره وما تبعه ٠٠ أتلف الاعرابى بعيره وعاد بخفين وأتلفتها ولم أعد بشى ٠٠ أتلفتها فى الواقع وأتلفتها فى الخيال ٠٠ صار من المستحيل على ادراك خيالها أو تمثل وجهها الصغير بملامحه الظاهرة وملامحه الدقيقة التى تكاد تخفى على الناظرين ٠٠ صرت لا استطيع تمثل وجهها الصغير الغريب حسنه ولا أستطيع تبين مواطن الجمال فيه ٠٠ كل ما أذكره هو أنها جميلة ٠٠ وانها لا تولى شعرها الناعم الطويل ما يستحقه من العناية ٠٠ ولكنها تجعل بعضه

مشدودا وترسل أكثره على كتفيها وظهرها ٠٠ بل انها تهمله جميعه فى الغالب ، فكانت الروعة تنبثق من ذلك الاهمال المطلق ٠٠

* * *

ولكن اين انا من هذا الاهمال المطلق او من تلك الروعة ٠٠ بل ها انا أجدنى فى القطار « المشؤوم » قطار حمام الانف ، مسمرا فى مقعد تمزق بعض غلافه الاحمر وظهر حشوه الرمادى الوسخ ٠٠

كنت مضطرا الى الجلوس رغم ما أصابنى من التقزز والاشمئزاز لاننى كنت متعبا مكدودا لا أتحمل الوقوف أكثر مما تحملت ٠٠ ولم يكن بامكانى اختيار مقعد آخر لان القطار كان مكتظا بالخلائق حتى الشيوخ الذين عاشوا زمن الاحتلال ومرت على رؤوسهم أهوال الحربين ٠

وهذا أحدهم قد جلس قبالتى ووضع على عينيه نظاراته الخشبية ليقرأ صحيفة « لوموند » الفرنسية ٠٠ لقد كان حسب ما بدا لى يفهم ما يقرأ ، لان تجاعيد وجهه الهرم كانت تتفاعل مع النص تفاعلا كليا ٠٠ وكانت عيناه الغائرتان الضيقتان تلتهمان الحروف والكلمات والاسطر التهاما عجيبا ٠٠ وشفتاه تعملان فى حركة دائبة دون ان تنطقا بشىء يسمع ٠٠ فعجيب أمر هذه الحركة الدائبة وفمه لم يبق فيه من الاسنان سوى بعض أعجازها النخرة ٠٠

وعجيب أمر هذا الشيخ الهرم ، فرغم أنه ــ على ما يبدو من مواليد أواخر القرن التاسع عشر ، يكاد يلتهم الصحيفة الفرنسية ٠٠ فعهدى بالشيوخ الذين هم فى سنه ــ ان صادف أن لمسوا بأيديهم صحيفة ــ لا يقرؤون من الصحف الا ما كتب بلغة الضاد ٠٠ ومن أين لهم أن يفهموا غير لغة الضاد ولم تتوفر لهم فى عهدهم من دور العلم سوى « الكتاب » والمدارس القرآنية و« الزيتونة » على أقصى تقدير ٠٠

ولكننى أدركت أن هذا الشيخ يعتبر مخضرما ٠٠ اذ انه قد عاش الجيلين المختلفين كليهما : الجيل المحافظ والجيل المتحضر ٠٠ فلا بد أنه قد تثقف بثقافة الغرب بطريقة او بأخرى ٠٠ ولا بد أنه يعرف عن تاريخ هذا القطار الذى نركبه معا ــ الشىء الكثير ٠٠ ولا بد أنه والقطار ينتميان الى جيل واحد والى طبقة واحدة ٠٠

لقد فكرت فى شأن الشيخ الهرم ٠ ٠وفكرت فى شان القطار القديم الذى يزحف على السكة متعبا ٠٠ فعجبت من الدهر كيف أضناهما وأفناهما ولكنه لم يذهب بهما تماما بل أبقى عليهما ليعيشهما أبناء الجيل الجديد ٠٠

ثم رجعت أفكر فى شأن الفتاة التى فقدتها ٠٠ فشعرت بأن فكرى يضطرب٠٠ يعمل عملا جنونيا ٠٠ يتحول بين أمور لا يربط بينها رابط ٠٠ يجول بين خواطر متباينة متباعدة لا استطيع أن أجد بينها علاقة ما ٠٠

شعرت بأننى أفكر كثيرا فى شأن الفتاة اللطيفة الوجه الجميلة الانيقة ، وبأننى أوليها من الاهمية الشىء الكثير بل ربما الشىء الذى يفوق ما تستحق ٠٠

هى لطيفة الوجه ٠٠ جميلة ٠٠ أنيقة ٠٠ ذات شعر حريرى مرسل على كتفيها ٠٠ هذا صحيح ٠٠ ولكن ماذا بعد ؟

ورأيت أمامى الشيخ ــ وأنا مسمر فى مقعدى المتواضع بعد جولة الخيبة والانكسار فى شوارع المدينة ــ رأيته أمامى وهو يكاد يلتهم الصحيفة بعينيه وفمه وملامح وجهه ٠٠ فتحول فكرى اليه وصارت عيناى مسمرتين فى وجهه المتجعد وانشغلت به عن كل ما سواه ٠٠ حتى عن صاحبة الشعر الناعم المهمل ٠٠

لم أعد أفكر الا فى هذا الشيخ الذى أضناه الدهر وافناه فكان يستنزف حشاشة طاقاته الذهنية والجسمية لمغالبة الدهر ٠٠ لتجاوز حدود الزمن ٠٠

كنت أسائل نفسى : لماذا يقرأ الصحيفة هذا الشيخ ؟ لماذا يرهق عينيه الفاترتين اللتين يكاد يذهب تماما ما بقى بهما من طفيف البصر ؟ لماذا يقبل على الصحيفة بهذا الاهتمام العجيب وقد أشرف على شفا حفرة الفناء ؟ ما هى غايته ؟ الى أين يذهب ؟

قلت لنفسى : لا غرابة ! ذلك هو الانسان ٠٠ يستفزه الامل فى الحياة فيحاول ان يغتنم كل فرصة من عمره للعمل الدائب ٠٠ لا يريد ان يترك لحظة واحدة من حياته تذهب سدى ولو كان على شفا حفرة الموت ٠٠

* * *

ولكن ما كدت أتحول بفكرى بين مختلف هذه الخواطر حتى سمعت « بائع القلوب » يترنم بنغمته المعهودة التى لا تفارق ولا يفارق صاحبها « قطار حمام الانف » :

« قليبات ٠٠ كويس ٠٠ قليبات ٠٠ قليبات ٠٠ » ٠

هذه هى النغمة المعهودة التى لا تفارق لسانه ما دام فى القطار بل ما دام فى المحطة ٠٠ ولا تدعه ولا يدعها الا ساعة يذهب الى « الحماص » ليملأ سلته الرمادية البالية بالقلوب ثانية ، ثم يعود الى المحطة ويصعد القطار والسلة ملآنة « بالقلوب السخان » ٠٠ وقد تعبت بطنها من الحمل وملت أذناها من الحط والرفع وكلت ٠٠ ولكن النغمة لن تمل ٠٠ بل ينبغى ان تكون جهورية نشيطة لان ساعة الغنم قد قربت :

« قليبات ٠٠ كويس ٠٠ قليبات ٠٠ قليبات ٠٠ »

تلك هى النغمة التى يرددها « بائع القلوب » فى القطار والتى يؤديها بفنيات عجيبة يعجز السامع عن محاكاتها ٠٠ هى أعز ما يملك « بائع القلوب » فى حياته اذا أضفت اليها تلك القفة الرمادية المتخاذلة ٠٠

هى أعز ما يملك لانها أساس مهنته ٠٠ هى بمثابة الخطبة لدى رجال السياسة ٠٠ بها يروج بضاعته ٠

ولولاها لما فرغت القفة من « القليبات » ٠٠ ولما صارت أفواه الركاب فى حركة آلية دائبة ٠٠ ولما انتثر « قشور القلوب » على أرضية القطار بكيفية مهولة ٠٠ ولما ضمن كناس القطار خبزته وخبزة صغاره ٠٠

لولا هذه النغمة الروتينية لما امتلأ جيب « بائع القلوب » بالدريهمات البيضاء والصفراء ٠٠ ولما قال له بعض الشبان من الركاب هازئا عابثا : « عندكشى صرف دورو » ٠٠ لولا النغمة والقفة وما تحمله فى بطنها الواسعة العريضة لما استطاع « بائع القلوب » ان يضمن عيشه وعيش من هم برقبته من الاطفال الذين لست أدرى كم عسى ان يكون عددهم ٠٠

* * *

هكذا كنت أفكر ٠٠ فكانت مشكلتى تقلقنى دائما ٠٠ تضخم رأسى ٠٠ لا تقلع ٠٠ لا تنتهى ٠٠ ما دمت الاحظ كل الاشياء من حولى ٠٠ مشكلتى لا تضمحل ما دام كل شيء يلفت انتباهى لا بد ان اعمل فيه خاطرى ٠٠

مشكلتى تحيرنى ما دمت أفكر فى امر الفتاة التى لاتنفك يدها تعمل فى شعرها الحريرى المهمل على خديها وكتفيها وظهرها ٠٠ وما دمت أفكر فى فستانها الاحمر الثمين الذى تتجول به فى شوارع المدينة وفى « المونوبرى » ٠٠

ثم تعود بعد انتهاء جولتها الى محطة القطار لتركب فى العربة الاولى لانها تقتنى دوما تذكرة من الصنف الاول ٠٠

أما أنا فاقتنى دوما تذكرة من الصنف الثانى ٠٠ فأجدنى بعدئذ مسمرا فى مقعد غالبا ما يكون غلافه ممزقا فيظهر من خلاله حشوه الرمادى الوسخ ٠٠

تذكرت أن صاحبة الفستان الاحمر كانت لا تركب الا فى العربة الاولى من القطار حيث يركب وجهاء القوم ٠٠ وعرفت اننى لا أركب الا فى عربة على غاية من البساطة حيث سواد الشعب : حيث يتسابق بائع القلوب وبائع « الكلوروفيل » ، وحيث المساكين على اختلاف صورهم يتسابقون الى الركاب الجالسين ويمدون أيديهم بوجوه شاحبة منكسرة ويطلبون نقودا بيضاء وصفراء ليسدوا بها رمق الجوع ويدفعوا بها غائلة الامحال والفناء :

شيخ ضرير يقوده ابنه وعكازته٠٠ورجل آخر مسن فقد احدى رجليه ــ من يدرى ربما فى أيام الحرب ــ فصار يستعمل عكازتيه ويتحول بهما من عربة الى أخرى مستجديا ، فيكون لهما وقع شديد يوحى بصراع الانسان مع الحياة ٠٠

كنت أتمنى حينئذ لو لم أفقد صاحبة الشعر الناعم والفستان الاحمر وكنت أرجو لو كانت جالسة مثلى على مقعد من هذه المقاعد الممزق أكثرها فى هذه العربة المزمنة لتشاهد عن كثب مسرحية الحياة ٠٠ لتتعمق فى أسرار الحياة ٠٠ لتدرك كنه الحياة ٠٠

كنت وأنا مسمر فى مقعدى البالى فى قطار حمام الانف القديم أفكر فى كل شىء حولى ٠٠ وأستحضر صورة الفتاة بشعرها الناعم وفستانها الاحمر الرفيع وحذائها الاسود الطويل الذى يكاد يصل الى ركبتيها علوا ٠٠

كنت استحضر صورتها بمجملها وأقارنها بكل شىء من حولى ٠٠ واقارنها بنفسى وانا جالس على المقعد المتمزق غلافه الاحمر ٠٠ فأرى بين ذلك كله بونا شاسعا ٠٠ بل هوة سحيقة ٠٠

كنت أفكر فى ذلك كله فكانت مشكلتى تزيدنى حيرة بعد حيرة ٠٠ وكانت تضخم رأسى ٠٠ وتعشش فى رأسى ٠٠ فلا تقلع أبدا ٠٠

م٠ ع٠ ع٠

الوقوف ... معها ...

شعر : محمد الشابي

مُنذ
ميلادي ... لمْ يجئكِ
جنوني ،
فاتركيه .. يمشي
إليكِ جنوني ...
إنَّما الإتّزانُ .. شيءٌ
قديمٌ ، وأنا
لمْ أعشْ ...
بماضي القرون

●

يَسكنُ النّاس ...
منْزلا ، من
ترابٍ .. وأنا أسكنُ
اتّساعَ العيُون ...
كيفَ يبقى .. منْ
يشتري المسكنِ اللائقَ منْ
غيرِ فرْحةٍ .. أوْ
جُنون ...

هَذهِ فكرتي .. ولنْ
أتخلّى عن ميُولي ...
وَخاطري .. وَظنُوني ...

●

إنَّني قد تركتُ ..
بعْدي ، عيُونا ...
وَشفَاهـا ،
كزهْرة الليمونِ ..
ثمّ ها قدْ
أتيْتُ ... بابْنة
عمّي .. إنّكَ الحلْم
والشّذى ... في
جُفوني ..

●

سَوف يُهدى ...
إليْك .. سبْعةَ
أقْمار .. رفاقي الّذينَ
قد عرفُوني ...

سَيصيحون : « هَـذه وردةٌ ..
مَأخـوذة ... من
حَدائقِ المأمـون !..» ..
ويقـول الذي
رآنا : « ... اختيارُ المرْءِ
جـُزءٌ من
عقلـهِ المفتون ..» ...

●

لَمْ أقـلْ
شيْئا ، فالقصائِـدُ ، فِي

وَجْهكِ .. لا فِي
كَلاميَ المحزونِ ...
غيْـر أنـِّي
أردْتُ .. ان يسْتريح القلْبُ
وقتـا ... فِي
غابةِ الزّيتـونِ ..

●

اسْمعـي نصف
لَفظـةٍ ... من
كـلامِي .. فانا مُشتـاقٌ
بكلّ جنونـي ..

م. ش.

رسالة في الفاصلتين

بقلم : عبد المجيد بن جدو

يحدد العروضيون الفاصلة ويقسمونها إلى فاصلة صغرى وأخرى كبرى ويجعلون من الفاصلتين مفردين ايقاعيين مركبين ، يتألف أولهما ، وهو الفاصلة الصغرى ، من سبب ثقيل يليه سبب خفيف :

(0 ـ ـ ـ) = (0 ـ) + (ـ ـ)

أما ثانيهما ، فهو الفاصلة الكبرى وتتركب : عند العروضيين ، على النحو التالى :

سبب ثقيل يليه وتد مجموع : (ـ ـ) + (0 ـ ـ) = (0 ـ ـ ـ ـ)

ويقابل الفاصلة الصغرى فى الكلمات المفردة (جبلن) = (0 ـ ـ ـ)

كما تصلح (كلمتن) ان تكون مثالا للفاصلة الكبرى .

وتتألف الفاصلتان من اجتماع مفردين كقولك : زينب مجتهدة فاذا اخذت من هذه الجملة المتألفة من مبتدإ وخبر النون والباء والميم والجيم استطعت ان تؤلف منها فاصلة صغرى : زيـ[نب مجـ]تهدة

كما كان بامكانك ان تأخذ من هذا المثال نفسه فاصلة كبرى من التاء والهاء والدال وتاء التأنيث فى مجـ[ـتهدتن] وزيـ[ـنب جميـ]ـلة

فالفاصلتان عند العروضيين مفردان ايقاعيان مركبان من مفردات ايقاعية أصول ، وهى كما كنا أشرنا إليه ، السبب الثقيل يليه سبب خفيف أو وتد مجموع ، اذن لا يمكن للثقيل ان يكون فى التركيب إلا أولا باعتباره سببا دون قفلة . القفلة عند العروضيين هى السكون .

وإذا تأملنا هذين التركيبين الايقاعيين تبادر لنا انهما يشكلان مفردين ايقاعيين فى البيت الشعرى ، بينما الواقع الناتج عن التحليل والتأمل

يجعلنا نتأكد بأن البيت الشعرى فى أى بحر من البحور لا يتألف إلا من مفردين ايقاعيين فقط هما : السبب الخفيف والوتد المجموع ، وهنا يتبين لنا خطأ العروضيين حيث إن الفاصلتين لا تشكلان مفردين إيقاعيين البتة ، وسوف نستعين بهذا البحث على كشف النقاب والستائر التى تحجب عنا الوجه الصحيح .

ولنبدأ بالفاصلة الصغرى وهى المتركبة من سبب ثقيل يليه سبب خفيف
(0 ـ ـ ـ) = (0 ـ) (ـ ـ)

فنقول ان هذه الفاصلة لا نكاد نعثر عليها فى الاوزان الشعرية التى احصاها الخليل بن أحمد الفراهيدى ولا نظفر بها الا فى بحرين هما :

الكامل ووزنه :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن
0 ـ ـ 0 ـ ـ ـ 0 ـ ـ 0 ـ ـ ـ 0 ـ ـ 0 ـ ـ ـ

والوافر ووزنه :

علن متفا علن متفا علن متفا

أو :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
0 ـ ـ ـ 0 ـ ـ 0 ـ ـ ـ 0 ـ ـ 0 ـ ـ ـ 0 ـ ـ

فهذان البحران تتألف مفرداتهما الايقاعية كما رأيتم من وتد مجموع يليه فاصلة صغرى أو من فاصلة صغرى يليها وتد مجموع ومثال ذلك فى الوافر :

1 2 3
مفاعلتن (ـ ـ 0) + (ـ ـ) + (ـ 0) = (ـ ـ 0 ـ ـ ـ 0)

3 + 2

فاذا ما قدمنا (2 + 3) وأخرنا (1) تحصلنا على المعادلة التالية :

2 3
(ـ ـ) + (ـ 0) + (ـ ـ 0) = (ـ ـ ـ 0 ـ ـ 0)

أما فيما عدا الوافر والكامل فتكون الفاصلة نتيجة زحاف وهى فى هذه الحالة لا تتألف من سبب ثقيل يليه سبب خفيف كما كنا أوضحناه فى الاول

ويظهر ذلك بتوليد الفاصلة الصغرى من البحور التى تتضمن هـذه الجمل الايقاعية فـاعـلاتـن و مستفعلـن و فاعلـن

فنحن نجد ان تفعيلة الرمل بعد خبنها تتولد منها فاصلة صغرى وتفعيلة الرمـل كما هو معلـوم من ثـلاث مفـردات ايقـاعية هى : السبب الخفيف (ـ 0) يليـه الوتـد المجمـوع (ـ ـ 0) يعقبـه سبب خفيـف (ـ 0) فى الآخر ، (فا) (علا) (تن) = (ـ 0) + (ـ ـ 0) + (ـ 0)

فـاصلـة صغـرى

= (ـ ـ ـ 0 ـ 0)

فاذا حذفنا الألف من السبب الخفيف الاول تحولت هذه الجملة الايقاعية المركبة إلى (فـ) (عـلا) (تـن) = (ـ ×) (ـ ـ 0) (ـ 0)

فاصلـة صغـرى فاصلـة صغـرى

وهكذا نرى فى المثال ان الفاصلة الصغرى لا ترجع فى تأليفها إلى أصول واحدة وهى لا تشبه فى شيء الفاصلة الصغـرى فى الـوافـر والكـامـل ذلك ان الفـاصلة الصغرى تألفت فى الـرمـل من سبـب خفيـف مخبـون × ووتد مجموع (ـ 0) + (ـ ـ 0) = (ـ ـ ـ 0)

بينما تركبت فى الوافر والكامل من سبب ثقيل (ـ ـ) ووتـد مجمـوع (ـ ـ 0) فكيف يجوز لنا والحالة هذه ان نطلق على التركيبين اسما واحدا ونسميهما فاصلة صغرى ٠ ان اختلاف تركيب الخلايا الصـوتية يستـوجب حتما اختلاف التسمية ما دامت الخلايا المتركبة من الكائن الصوتى متغايرة ٠

وكما أمكن أن نولد فاصلة صغرى من فاعلاتن فى الرمل يمكن لنا كذلك أن نولدها من مستفعلن ٠ فنحن اذا ما حللنا هذه الجملة الايقاعية الى عناصرها الاصلية (مسـ) (تفـ) (علـن) وجدناها تتألف من سبب خفيف (ـ 0) يليه سبب خفيف (ـ 0) يعقبه وتـد مجمـوع (ـ ـ 0) ومستفعلـن = × (ـ 0 ـ 0 ـ ـ 0) قابلة فى الرجز للطى ، والطى هو حذف ساكن السبب

×
الثانى ، ومثال ذلك (0 ـ) + (0 ـ) + (0 ـ ـ) = (0 ـ)
(ـ ×) (ـ ـ 0)

فاصلة صغرى

وبذلك نرى ان الفاصلة الصغرى هنا تألفت من سبب خفيف مطوى ووتد مجموع ، وهى فى هذه الصورة تتألف من سبب خفيف مطوى ووتد مجموع بينما هى فى الرمل تتولد من سبب خفيف مخبون ووتد مجموع ، لذلك كنت الحت فى أول هذه المقدمة باعتبار السبب الخفيف فى الجملة الايقاعية ، ورد أولا أو ثانيا أو ثالثا ، سببا واحدا ، ودعوت ضم الخبن والطى والقبض الى بعضها وجعلها زحافا واحدا ، نختار له تسمية واحدة من هذه التسميات الثلاثة اما الفاصلة الصغرى المتولدة من (فـا) (علـن) فهى تتركب من

×
سبب خفيف مخبون ياليه وتد مجموع (ـ 0) + (ـ ـ 0) = (ـ ـ ـ 0) على شاكلة الفاصلة المتولدة من (فـا) (عـلا) (تـن) ، وان توليد احدى الفاصلتين من جملة ايقاعية او جملتين ايقاعيتين يقتضى منك النظر فى هذا الجدول ، وان توليد اية فاصلة من الفاصلتين سوف يعود بك الى أصول غير واحدة .

الجـدول

تفعيـلات أصـول

وتبـدأ كلهـا بأوتـاد مجمـوعـة كـانت أو مفـروقـة

1 (ـ ـ 0) + (ـ ـ) + (ـ 0) = (ـ ـ 0) (ـ ـ ـ 0) مفا[علا]تن

2 (ـ ـ 0) + (ـ 0) = (ـ ـ 0 ـ 0) فعو لـن

3 (ـ ـ 0) + (ـ 0) + (ـ 0) = (ـ ـ 0 ـ 0 ـ 0) مفـا عيـ لـن

4 (ـ 0 ـ) + (ـ 0) + (ـ 0) = (ـ 0 ـ ـ 0 ـ 0) فـاع لا تـن

ويتولد عن هذه الأصول الأربعة ستة تفعيلات فرعية تبدأ كلها باسباب خفيفة كانت أو ثقيلة :

1 2 2 1

1 (ـ ـ 0) (ـ ـ ـ 0) يتولد عنها (ـ ـ ـ 0) (ـ ـ 0)

مفا علتن متفا علن

1 2 2 1

2 (ـ ـ 0) (ـ 0) يتولد عنها (ـ 0) (ـ ـ 0)

فعو لن فا علن

1 2 3 2 1 3

3 (ـ ـ 0) (ـ 0) (ـ 0) يتولد عنها (ـ 0) (ـ ـ 0) (ـ 0)

مفا عيـ لن فا علا تن

2 3 1

و (ـ 0) (ـ 0) (ـ ـ 0)

مسـ تفـ علن

1 2 3 2 1 3

4 (ـ 0 ـ) (ـ 0) (ـ 0) يتولد عنها (ـ 0) (ـ 0 ـ) (ـ 0)

فاع لا تن مسـ تفع لن

2 3 1

و (ـ 0) (ـ 0) (ـ 0)

مفـ عو لات

فولد من هذه التفعيلات أصولية كانت أو فرعية اية فاصلة شئت فانك ستجدها تعود الى عناصر مختلفة .

وما قيل فى الفاصلة الصغرى يقال فى الفاصلة الكبرى فهى لا تتألف من السبب الثقيل والوتد المجموع كما نتوهم بل هى تتولد من خبن وطى

× ×

مستفعلن (ـ 0) + (ـ 0) + (ـ ـ 0) = (ـ ـ ـ ـ 0)

× ×

وبعد التأمل فى الفاصلتين وأصول تركيبهما نجد ان لا أثر لهما فى البيت الشعرى حشوه وعروضه وضربه الا فى بحرين فقط تظهر فيهما الفاصلة الصغرى وهما الوافر والكامل .

وهذا ما يدعونا لان نحلل هذين البحرين ونتأملها وننظر فيهما نظرة فاحصة ونحاول ان نضع احتمال : ان هذه الفاصلة ليست اصلا فيهما وانما

0

الاصل فيهما : اضمار ، متفاعلن (ــ ــ) + (ــ 0) + (ــ ــ 0) =

↓

اضمار

0

وعصب مفاعلتن (ــ ــ 0) + (ــ ــ) (ــ 0)

(ــ 0 ــ 0 ــ ــ 0) لان الاصل فى الحركة ان تكون ذات قفلة ٠

وتتالى حركتين بدون قفلة لا يمكن ان يكون اصلا لان الحركة لا تعدو ان تكون نصف صوت أول للصوت الكامل أو للخط الصوتى فاذا ما رمزنا للخط الصوتى ودعونا نقطة البداية فيه بالباء ونقطة النهاية بالنون ورمزنا للمسافة التى بين الباء والنون بالميم وجدنا أن السبب الثقيل انما هو عبارة على باء ميم مقطوع ويمكن الاشارة إلى باء ميم مقطوع بالقاف مثلا فتكون المعادلة الصوتية حينذاك على النحو التالى :

الصوت الكامل أو الخط الصوتى الكامل أو الدائرة الصوتية الكاملة للخط

يرمز له بـ (بـ سـ ن) فان نصف هذا الخط الاول يكون (بـ 2/س ق) و (ب 2/س ق) + (ب 2/س ق) لا يساوى (ب س ن) وان كان الجمع بين هذين النصفين فى الوافر والكامل فى قوة (ب س ن) الا انه فى غير فاصلة الوافر والكامل لا يكون النصفان الا صوتين مقطوعين لا قفلة لهما ٠

واذا احتملنا الاضمار والعصب أصلا فى الفاصلة الصغرى وهو احتمال ممكن يبرره جواز الاضمار والعصب وتكافؤهما فى فاصلتى الوافر والكامل ٠ وبذلك نجعل الفاصلة الصغرى ناشئة عن تعويض الحركة الثانية فى السبب الثقيل بساكنها المحذوف وهو النصف الذى يمكن جمعه بالنصف الاول من السبب الثقيل الفاقد لنصفه الثانى فتكون العملية على النحو التالى : (ب 2/س ق) + (2/س م ق) = (ب س ن) ٠ وبهذا نصل بهذا البحث إلى النتيجة التالية ، وهى نتيجة كنت أشرت إليها فى أول هذه المقدمة :

وتتمثل فى اعتبار السبب الخفيف مخبونا كان أو مطويا أو مقبوضا نصف صوت • ويمكننا أن نعتبر أن الاصل فى كل حركة بدون قفلة أي بدون سكون يرجع الى انها كانت قبل القطع سببا خفيفا فيكون أصل الفاصلة الصغرى بهذا الاحتمال اجتماع ثلاثة أسباب (ـ 0) + (ـ 0) + (ـ 0) خبن أولها وطوى ثانيها فتولدت عن هذه العملية الفاصلة التى نبحث عن

× ×

أصولها (ـ 0) + (ـ 0) + (ـ 0) = (ـ ـ ـ 0)

ومن الملاحظ انه لا يمكننا أن نبحث فى الفاصلة بهذا الشكل الا فى دائرة البيت الشعرى وفى حدود الاوزان التى احصاها الخليل •

أما اذا أردنا أن ننظر الى وزن الكلمة العربية خارج البيت الشعرى وجدنا ان (جبلن) يمكن اعتبارها (فى حدودها اللغوية غير الشعرية الايقاعية) متركبة من سبب ثقيل خفيف (ـ ـ) + (ـ 0) = (ـ ـ ـ 0) جبلن• واستطعنا عند ذلك بأن ندعو هذه الفاصلة مركبا ايقاعيا مفردا غير ناظرين إلى تركيب العروضيين مهملين السبب الثقيل والخفيف معا •

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الفاصلتين أن نشير إلى أن الفاصلة الصغرى فى البيت الشعرى يمكن أن تخرج عن حدود التفعيلة الواحدة وأن تتركب من جزأين من تفعيلتين متتاليتين ونضرب مثلا لذلك تفعيلة المتقارب •

ففى البيت من المتقارب وفى جمله الايقاعية لايمكن لنا أن ننحت فاصلة صغرى من جملة واحدة ويمكننا أن نولدها من تفعيلتين • فتتألف الفاصلة فى هذه

×

الحال من السبب الخفيف المقبوض (ـ ـ 0) + (ـ 0) + (ـ ـ 0) (ـ 0) (ـ 0)

↓

قبض

×

ومن الوتد المجموع الذى يليه (ـ ـ 0) [(ـ 0) (ـ ـ 0)] (ـ 0) (0)

فاصلة صغرى

والغاية من هذا البحث فى الفاصلتين ، ومن نحتهما وتركيبهما بيان انه بالامكان الاستغناء عنهما فى التحديدات والمصطلحات العروضية والاقتصار

على مفردين ايقاعيين أصليين هما السبب الخفيف والوتد المجموع . فانه بامكاننا استخراج جميع الجمل الايقاعية منهما والاستغناء بهما عن السبب الثقيل والوتد المفروق والفاصلة الصغرى والفاصلة الكبرى .

وقد ينتهى بنا البحث فى النهاية الى الاستغناء عن الوتد المجموع نفسه والاكتفاء بأصل واحد هو السبب الخفيف ـ لقدرتنا على استخراج كل المفردات الايقاعية منه وبيان ذلك :

×

أصل الوتد المجموع (ـ 0) + (ـ 0) خبن أولهما فتولد عنهما وتد مجموع (ـ ـ 0)

×

الوتد المفروق (ـ 0) + (ـ 0) طوى ثانيهما فتولد عنهما الوتد

×

المفروق (ـ 0 ـ)

× ×

السبب الثقيل (ـ 0) + (ـ 0) خبن السبب الاول وطوى الثانى فكان الثقيل (ـ ـ)

× ×

الفاصلة الصغرى (ـ 0) + (ـ 0) + (ـ 0) خبن السبب الاول وطوى الثانى (ـ ـ ـ 0)

× × ×

الفاصلة الكبرى (ـ 0) + (ـ 0) + (ـ 0) + (ـ 0) = قبض وطوى الثانى وكف الثالث (ـ ـ ـ ـ 0)

وان هذه الطريقة تكون أجدى وأقرب إلى علم الاصوات وفهم حقيقة كل صوت على حدة وبذلك نستطيع أن نحكم على الكلمة العربية بأنها متألفة من أصوات كاملة ومن انصاف اصوات ومن أصوات وانصاف أصوات .

مثال الكلمة المتآلفة من أصوات كاملة :

بـا / بـن / مـو / لـو / دن / قـو / مـى /

(ـ 0) (ـ 0) (ـ 0) (ـ 0) (ـ 0) (ـ 0) (ـ 0)

مثال الكلمة المتآلفة من أصوات مقطوعة :

كـتـب لــك لــم سلـم

/ ـ ـ ـ / / ـ ـ / / ـ ـ / / ـ ـ ـ /

مثال الكلمة المشتركة :

كـ / ـتـ / ـبـن ر / سا / لـ / ـتـن

(ـ) (ـ) (ـ 0) ـ / ـ 0 / ـ / ـ 0

هذه أيها السادة الباحثون فى هذا العلم نظرة حول الفاصلتين وحول ماهية الكلمة العربية ولنا عودة إلى هذه المقدمة . والسلام .

ع. ب.

فلاح عاشق ..

شعر : الهادي عبد الملك

سألتْني وقد عفا المصباحُ ... وأطلّ من بعدِ ليلٍ صباح
ألِى الآن لم تنم .. أتراها ... داهمتك الهموم والأشباح
فغدوتَ كريشة في مهبٍ ... بك تلهو وتستخف الرياح ؟
قلتُ : أختي ، أرجوكِ لا تسأليني ... ليس يُجدي التفسير والإيضاح
فأصرّت .. عنيدةٌ هي دوما ... وألحّت فقبُّح الإلحاح ..

* * *

إنّه العشق هدّ كلّ صوابي ... فسُهادٌ وسائدي وجراح
إنّه العشق حين يأتي ربيعا ... فيلاقيه شاعر فلاّح
قلبه رقّةٌ ونبضُهُ صدق ... وقوافيه للجمال جناح
يلمس الأرض في حنان فتصحو ... ويغنّي فيرقص التّفّاح
عنده الحبّ عفّة وحياء ... واصطياد لفرصةٍ قد تُتاح
لا كلاما مزيّفا وعناقا ... في المقاهي يديره السواحُ

* * *

أنا يا أختُ لم أزل بدويّا ... تعبي لذّةٌ وصبري سلاحُ
إن سهرتُ فالمجد أروع سلوى ... أو تعذّبْتُ فالحياة كِفاح ..

ه٠ ع٠ م٠

جزمة اللقلق

قصة ، بقلم : أوريليوبوسوجوك (*)

تعريب : محسن بنحميدة

كان عمى اللقلق شديد الحيرة والاضطراب وقد دعاه الثعلب لحفل عيده . لم يكن كذلك من أجل الدعوة بل بالعكس كان مبتهجا لها لكن أين يجد حذاء وفعلا كان نه كل ما يحتاج اليه صدار أبيض منشى برباط من الحرير الاسود له بدلة سوداء أيضا وحتى جوارب حمراء لكن ليس له ما ينتعله فذهب الى السيدة دجيجة الغاب وقال لها :

ــ أيتها الدجيجة العزيزة ألا تعيرينني خفيك .

قالت :

ــ بكل ابتهاج لكن أتظن أنهما سيناسبان رجليك حقا .

فأراد عمى اللقلق أن يقيسهما فلم يوفق حتى الى ادخال ابهام .

فعند ذلك التجأ الى فرس البحر الطيب قائلا :

ــ أعرنى جزمتيك لمدة سهرة .. ألا تسدى الى هذا المعروف .

فقال فرس البحر :

ــ حم حم ... أخشى ألا تكونا على قياسك تماما .

فقاس اللقلق إحداهما وغاص فيها حتى لكاد يعجز عن التخلص منها فعزم وقد ازداد اضطراب مزاجه تعكرا أن يستشير البومة العقابية فقال لها بصوت باك :

ــ اعلمى يا عظيمة الشأن أنى مدعو هذا المساء وليس لى ما أنتعله فهل لك حذاء تعيرينني اياه .

(*) Auréliou Boussojoc

فأثبتت البومة نظارتيها على منقارها قبل أن تتكلم والناس جميعا يعلمون انها علامة وانها لا تبدو قط بدون نظارات ٠

قـالت :

ـ يا عمى اللقلق فيما يخص الحذاء فانى لا انتعل سـوى خفين لكن إن لى إليك نصيحة ثمينة فما عليك إلا أن تنطلق الى المستنقـع فتمكث فى أشـد نواحيه وحلا واقفا أربع ساعات متتاليات فيعلق الوحل بجـواربك الحمـراء فتخرج منه بجزمتين عجيبتين ٠

فانطلق اللقلق مرددا تشكراته للبومة وطار نحو المستنقعات ٠٠٠

كان جمع المدعوين غفيرا عند الثعلب وكان الحفل فى أوجه عندما بان اللقلق فى كل مراسم الموكب فدنا من الثعلب فسلم عليه سلاما بالغا وقدم له تهانئه وأهداه فأرة حقيقية فتأثر الثعلب تأثرا شديدا لكن ما كاد بصره ينزل صدفة على رجلى اللقلق حتى اندفع ضاحكا الى الاختناق ٠

وكذلك فعل المدعوون ٠

أما البومة العقابية فاقتربت من اللقلق وقالت له :

ـ يا عمى اللقلق ففى المرة الآتية اذا أردت أن تنتعل حذاء جديدا فلا تمكث على رجل واحدة فى مستنقعك ٠

وفعلا لقد كان اللقلق منتعلا جزمة واحدة ٠

م٠ ب٠

قل ما بدا لك

شعر الهادى حمودة الغـزى

حقاً حمامة ما يشاع أجيبي … قولي بربّك هل سمعت وجيبي
جمّعت من عرصات حبّي باقة … حمّمتُها في نورك المسكوب
وطفقت مشبوب الفؤاد مشرّقا … ألغُو هوى فإذا هواك غروبي
ما كنت أحسب أن شطّا برجه … وحي الجمال ورقية المكروب
من بعد بلوى حنّطت قلبا وفي … الأحشاء منها طافحات لهيب
وتصدعت روحي ، وقلت لمهجتي … هيّا فمقبرة الوجود دروبي
ونشرت أحلامي عليك وجنّحت … ذكراك لو تدرين ما تعذيبي
وتعثّر الأمل الجريح وغاص في … بحر الهموم الثائر المرهوب
أملي وأحلامي يكفّنها الأسى … وبراعم الذكرى هفت لمغيب
واغْبَرّ وجه الكون في إصباحه … والأفق في إمسائه يلهو بي
حوّلت وجهي نحو هاتيك الربا … فسمعت لحن جنائزي ونحيبي
وتجاوبت أصداؤه بين الوهاد … الراجفات وأفقها المذهوب
وهتفت : وي يا قلب هيا … خل ما … تعتاد فالمعتاد سِرٌ كروبي
فأهل من ناديك وجهك مشرقا … بعث الحياة بقلبي المنهوب
عاما وبعض العام حبّك موكبي … وسعادتي ملأت عليّ دروبي
لا القلب طاوع أن يكاشفك الهوى … كبرا ، وأنت مع الحياة رقيبي
وطويت سري واتّهمت هواجسي … وحذرت من عينيك أن تغري بي
وقنعت من لقياكِ رؤيا قدّك … سروا تماوج في رحاب غروب
أظما فألهي القلب عنك برحلة … فيزيد ما بي من ضنى ولهيب

وتحيّرت ذكراي في أرجائك ... وتعاستي نفست علي شحوبي
وأظله من نور وجهك ساطع ... فنسيت كونا طال فيه لغوبي
وعرفت للأقدار فضل عناية ... أبدته ومضا من خلال قطوب
فنعمت حينا مالئا كأسي منى ... وأعبّ حتى آذنت بخطوب
تلك التي جاءت تكاشفني مسا ... وتروعني بالموعد المضروب
قالت : حمامتك الاليفة ودّعت ... ورحيلها – لا تَرْجُ – جدّ قريب
ولآخر : لا تُفْشِ ، سرّ بيننا ... فأجبت قلبك يا حمام نصيبي
يفنى الزمان ونور حبّك قائم ... محرابه في صدري المحروب
أترى أماسينا العذاب تعودنا ... ونغيظ كونا شط في تعذيبي
وأقول للاقدار دونك خالد ... حبي ، وغيري للهوى المكذوب
كفر الوجود غداة فرّق بيننا ... كيف اللّقاء ولا هنًا لغريب
نهشته دنيا عاودته قيودها ... فهي القيود بدمعه المصبوب
وانداح مثخونا تنزّ جراحه ... ونحيبه للشاطىء المخضوب
صوت ينادي والضباب يلفّه ... «لملم جراحك يا رفات حبيب»
فعطفت من شوقي الذبيح ومهجتي ... مسفوحة الذكرى بشرّ ندوب
ووقفت مشدوها وقلبي طائر ... دامي الجوانح ، ضائع التأويب
وأدرت طرفي ، إذ خطوت مودعا ... والموج يرقص ساخرا يحدو بي
وسمعت والموج الرهيب يطوف بي ... صوتا ينادي يا حمامة غيبي
فأجبت والزفرات تلهب بعضها ... قل ما بدا لك فالحبيب حبيبي

هـ. ح. غ.

ارادة الحياة *

شعر : محمد الهادي بسباس

تلوت غصون الدوح في لوعة الثكلى ... وناحت نواح البحر أوراقها ويلا
فدوت بأوتار الفؤاد هواجس ... بكل نضال الأرض أحشاؤها حبلى
وكانت ليالي القرّ من شهر جانفي ... زمان « ليالي البيض » والحزن والجلى
زمان رياح القرّ وهي عواصف ... لكل سفوح الأرض قد شدت الرحلا
تحزّ وتعوي صرصرا يا لهو لها ... فيربد وجه الكون من هول ما حلا
زمان ترى الأشجار وهي ضوارع ... وقد جمد النسغ بأعرقها وجلا
هياكل أموات وفي يوم محشر ... صفوفا لدى الرضوان عارية كلا
شتاء الأعاصير القواصف والضبا ... ب والجدب شل العزم من شدة شلا
ترى القوم صرعى في الزوايا قوابعا ... يمدون للرومي أيديهم سؤلا
لقد نتأ العظم وحالت قواهم ... كأغصان كرم يابس عودها هزلا
كستهم صروف الدهر من عهد آدم ... قميصا من الأشواك قد قفلت ذلا
وأرخت ليالي البغي والبطش والربا ... سدولا من الخذلان قد أوثقت جهلا
فلم يبق شعب يستطيع مروءة ... شتات من الأفراد قد بعثروا رملا
وظن الدخيل القاهر تغطرسا ... بأن رياح الشعب قد ذهبت ذهلى
فأرسلها في الأفق ينشد نصره ... أهازيج فخر راقصات الصدى جذلى
وأوقد عودا بالمجامر نشوة ... وأرسل في البطحاء أشباله سيلا

(*) مساهمة فى الاحتفال بمرور 22 سنة على أحداث 18 جانفى التى تمخضت عن الثورة المثلى التى قلبت كل الأوضاع وكل القيم ، والتى مازلنا نعيش بعض فصولها فى يومنا الحاضر .

فطارت الى الجذع الكسير شرارة ... فأوقدت النار ومزّقت الليلا
اذا هي فكر عبقري سناؤه ... يزيح عن الأذهان ما حجّر العقلا
فيجمع شعث القوم حول ضيائه ... ويبعث فيهم رأيه مثلا أعلى
اذا هي أشباح تحرك نفسها ... وتنفض عن أجسادها الكل والسلا
وتمضي مضاء السيف في حومة الوغى ... تكب على الأذقان في ثورة مثلى
وتأتي « الليالي السود » من بعد محنة ... فيخضرّ عود الأيك أهلا بها أهلا
اذا هي عدل سائد وأخوّة ... وصدق واخلاص فأكرم بها فعلا
وتلك لعمري في الشعوب ارادة ... اذا وجدت في القوم قائدها الفحلا
ولاقت من الشعب السخي عزيمة ... ووحدة صف لا تحل ولا تبلى
تؤول الى العزّ المؤثل والمجد الرفيع وذروة الكرامات وتعلى

م. هـ. ب.

من خلف الجراح !..

شعر : صلاح الدين القراني

(الجزائر)

أناجي النجوم بليل اغترابي ... فتغفو النجوم بجفن السحاب
وتغفو بجفني صروح الأماني ... وتغزو دروبي عيون السراب
فأنشر شعري وأعزف لحني ... قصائد حبّ بكفّ العذاب
وتلك القلوب تحبّ لتشقى ... وتنعى ابتساما لطول الغياب
ربيعي يتيمٌ ، حزين العيون ... فكم من رعود أحالت شبابي ..
حطاما هشيما بجوف التراب ... وكم من عواصف دقّت ببابي
عفت بي أمان تسامت بقلبي ... وطافت بفكري كحور عذاب
إلام رفاقي سأبقى شقيا ... ألوك الحروف بمرّ العتاب
إلام رفاقي رفاق اليراع ... سيبقى اليراع رهين الصعاب
ومن كان مثلي رقيق الشعور ... صديق القوافي وأي انتساب
لحرف يمرّ بجسر الزمان ... نسيما ، شذيا كبَوْح الهضاب
يناغي الصباح برغم الجراح ... بسحر البيان وعزف الرباب
اذا ما سمت خطوب الحياة ... وخفت المنايا بلجّ العباب
فحسبي نشيدي شفاء لجرحي ... وحسبي أريج لتلك الروابي

ثـــــورة

شعر : عائشة الخضراوى

انظرى إلى عينى الحزينتين
إلى أهدابى المتعبة
هناك تكمن مرارة حبى
وهناك تكمن أحزانى
يا مدينة الآلام والأحلام
طويلة أيامك
أيام التشرد والمجاعة
كثيرة آلامك
آلام الضياع والمهانة
كنت وراءك
أجر أذيال خيبتى
أزحف خلفك
كمهاجر أضاع الطريق
وكنت فى داخلى
حمى زادت فى شرودى
ألما يبحث عن طبيب
كنت أجر
خلف منعرجات حبى
وكان وجهك يحمل أتعاب المخاض
متحدية أتيت
أحمل أهدافى وأشواقى
أبحث عبر روابيك
المجروحة الأهداب
عبر جدرانك
المخضبة بالدماء
عن عصفور
عيونه من نحاس
أهدابه تجرح المياه
أبحث عن عصفور
إسمه : ثورة

مطالعات

« حصاد الشمس »

ديوان : عبد العزيز قاسم
عرض ونقد : لطفي عز الدين

صدر منذ بضعة أشهر عن مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر ديوان شعر للشاعر عبد العزيز قاسم تحت عنوان (**حصاد الشمس**) ، ويضم هذا الديوان مجموعة من القصائد التى نشر أغلبها بمجلة « الفكر » والتى نظمت خلال الفترة الممتدة من سنة 1950 الى سنة 1973 (اضافة الى ثلاث قصائد كتبت فى اللغة الفرنسية وترجمها كاتبها الى العربية) .

وقد اعطت المقدمة التى كتبها الاستاذ الشاذلي القليبي صورة حية عن الشعر وأحواله . وبازاء هذه المقدمة الطريفة والممتعة يجعل عبد العزيز قاسم لديوانه مدخلا ليبين فيه الدوافع التى دفعته الى جمع هذا الديوان ليخرج بهذه القصائد القليلة المختصرة . والحقيقة ان عبد العزيز قاسم يميل الى الاختصار فى كل ما يقول :

« ماساتنا حكاية معادة
استمعوا يا سادة
أطل عامنا الجديد
مختصرا حسابه شهران
فى وطن مختصر الحدود
اسالكم فاختصروا الردود
إنى أحب الاختصار
مذ ذقت طعم الاحتقار » (1)

---

(1) رسالة الى صندوق بريد : 48 ـ 56 ـ 67 . (حصاد الشمس) ص : 14

لقد لفت نظرى وأنا أطالع هذا الديوان نضج الافكار وعمقها ونضج الثقافة التى يتمتع بها الشاعر عبد العزيز قاسم،زيادة عن لغته الفصيحة وذوقه الرفيع وادراكه لما يجرى فى نفسه من أحاسيس شعرية ، ويكمن هـذا الادراك فـى تجاربه الشعرية التى أسهمت فى اثراء الشعر التونسى المعاصر .

ومن بين قصائد الديوان الجميلة نجد رسالة الى صندوق بريد : 48 ــ 56 ــ 67 ، و(كلمة) ، و (رسالة اليك) ، و (ظلال وأضواء) ، وقصيدة (قلبى) التى يقول فى مطلعها :

عبر عينيك كنت ألقى شعاعا
يلهم الرد قبل عرض السؤال
وصدى من كآبتى وأنا لم أتأوه وما شكوتك حالى
فاذا بى مع الزمان شريد
يا لقلبى من ضائع وغريب
جفت الكأس قبلما أحتسيها
وأنا من جفافها فى لهيب (2)

ويعتبر الشاعر عبد العزيز قاسم واحدا من شعراء ذلك التيار الغنائى الذى ساعده على افراغ ما فى نفسه من أحاسيس وهواجس موسيقيـة فياضـة . وقد يتبادر لذهن القارئ أنه من شعراء الرومانسية الرقيقة كما يبدو واضحا جليا فى بعض قصائده التى أذكر منها على سبيل المثال قصيدى (قلبـى) و (ذات مساء) .

ان عبد العزيز قاسم لا يؤمن الا بفعل الكلمة التى لا تزول ولا تفنـى بفنـاء الانسان وزوال أحداثه :

« أنا لم أومن كايمانى بفعل الكلمة
كل أحداث الورى تذهب طى العتمة
إنما آخر ما يفنى نشيد الملحمة
ولذا ألفت عمرى من شظايا نغمة
أنا لم أومن كايمانى بفعل الكلمة » (3)

---

(2) قلبى ــ ص 25
(3) كلمة ــ ص 32

وإلى جانب ايمانه بالكلمة وبمفعولها المباشر ، فهو شاعر تأملي من الدرجة الأولى ، يحاول فك الرموز المنتصبة فى شكل نقط استفهام على طريق الانسان فى سيره نحو المستقبل ونحو قدره ، فأتت قصائده ثرية بالتجارب الداخلية ، وبالمعاناة وبالحيرة الوجودية · وهكذا يمضى الشاعر عبد العزيز قاسم غريبا وسط الزحام يخلق الاشباح والاساطير ، ويرسل من نفسه لمعات تنير وتطمس فى آن واحد معالم لغز الوجود · وهو يؤمن بأن فى باطن كل شاعر حقيقى « أباهول » يلقى عليه أخطر الاسئلة · (4)

إن من أخص خصائص هذا الشاعر أن يحيل صمت الطبيعة وهمهمة المشاعر الى افصاح وجهر واضح النبرات ، وأن يهب صوره حياة كاملة تعيش مستقلة ، أو متفاعلة داخل النفس التى تعشق الفن الشعرى ·

ولعل الميزة الكبرى لشعره هى العمق والجلال فى الفكرة والوضوح والجمال فى الصياغة · ولا شك ان الشاعر يبذل خلال كتابته للقصيدة الكثير من ذات نفسه ، وذوب وجدانه ، ونحن بذلك قد نتصوره مضنيا ولكن صاحب (حصاد الشمس) يحس به فى أعماقه انسا غامرا ونشوة معربدة ·

ولا ينبغى أن نستهين بالجهد الذى يبذله الشاعر عبد العزيز قاسم ليبدع لنا فنا يصدر عن وعى بصنوف الجمال ومراتب الحسن سواء كان ذلك فى نطاق الافكار او فى مجال الصياغة ، او فيهما جميعا ، لان هذا الاتجاه من جانبه ، يفسر لنا مقدار حرصه على بلوغ الغاية فى نماذجه ·· استجابة لنوازعه الفنية من جانب واحتراما لجمهوره المعجب به من جانب آخر ، فليس الفن عند صاحب (حصاد الشمس) وسيلة من وسائل التسلية او حديثا من أحاديث الفراغ ، وانما هو روح تطعمه الروح ·· ويغذيه الوجدان والقلب ·

واغلى أمنية أتمناها لشعر عبد العزيز قاسم أن يستجيب للطبع العربى الصرف ، لان الارتباط بشعر « شارل بودلير » و « اليوت » لا يحقق للشاعر العربى بلاغة ولا يخلطه بقلوب قراء العربية ، لان نمط هذين الشاعرين مستمد من البيئة التى تعرف رمزية بودلير فى فرنسا وغموض اليوت فى انقلترا ·

---

(4) اتجاهات الشعر التونسى المعاصر ، بقلم : عبد العزيز قاسم ، مجلة (هنا لندن) ص 37 عدد 277 سنة 1971 ·

ندوة القراء

كلمات من الاعماق

بقلم : عـلال البوزيـدي
(مدينة سلا ـ المغرب)

أحيانا ينتاب الانسان وخاصة الاديب ، احساس غريب بأنـه وقـف على عتبة النهاية ، تخامره هواجس ويدور بخلده خضم من المشاعر والتوقعات ، وجملة من التصورات والتطلعات لتتعقد نفسيته الى درجة الاختناق . وسرعان ما تتبدل الظروف فيميل الى الانفتاح الى ما فى هذا الكون العجيب من اسرار يجابهها وبحسبها تتنوع أساليب التعبير عما يبحث في نفسه فيخوض فـى يجابهها ويحسبها . تتنوع أساليب التعبير عما يبحث فى نفسه فيخوض فى كتابة المذكرات والمقالات المسلسلة المسهبة ، وركوب كل وسيلة من وسائل التعبير تعطى مدلولا متباينا ، حول الكيفية التى يتكيف بها الانسان الاديـب مع الحياة ، ذلك أن مثله مثل شمعة تحترق لتنير الطريق أمام الآخرين ، واذ أصبح الاديب المعاصر يعايش ظروفـا متناقضـة ، فهو يتأرجـح بين الشـك واليقين فيما تمليه عليه مواهبه وقرائحه وميوله الادبية ، ونتيجة لهذا يسـرى فى أعماقه مركب الشعور بالانهزام ويعتـرى حركيتـه الانتاجيـة وطاقتـه الابداعية الفشل والشلل ، وهـذا الشعـور السلبى يـؤدى به الى الركـود والانطواء بل الى الانفصال عن مبدأ الالتزام ، وقبل الاستسلام الى التشاؤم يتدرج مرحليا عبر صعيد متشعب من التفكير الجاف .

ولهذه الحالات من الصراع النفسى والجفاف الفكرى بواعثها واسبابها المباشرة وغير المباشرة ، وفى هذه المرحلة المتميزة بالانفعال ، يتحول الشعور الذاتى عند الاديب الى الشك فى قدرته الابداعية وعدم الثقة بنفسه ، ويهتـز مستـوى الاستنباط والادراك لديه وفى هذه الحالة من الصراع يصبح وكأنه فقد توازنه الفكرى وأصبح معتلا نتيجة الاجهاد الذى يقابله السلب .

ولنا أن نتساءل لماذا نرى بعض الادباء سقطت الاقلام من بين اناملهم ؟ أمرد ذلك كما يعتقد البعض الى السذاجة وانعدام النضج ؟ كلا بل أمر ذلك يعزى الى روح الاحتكار التى سادت باستيلاء ذوى الاغراض والانتفاعية ، على أهم الاجهزة واصادر الكفيلة بتنشيط الادب والادباء ، وتحريك الاقلام نحو خلق نهضة فكرية وثقافية متكاملة ٠

ان أى جمود يلاحظ على المشتغلين بصياغة الكلمة فى اعتقادى الشخصى ، يقع وزره على كاهل الظروف التى تفرش الطرق التى يسلكها الاديب الكاتب بالاشواك وترصفها بالمعوقات والصعاب ، ويتضح لنا ذلك بجلاء عند وضعنا الاصبع على تراجم بعض الادباء والكتاب ولو على سبيل الدلالة والتحرى حول جوهر القصد ، ولقد كانت الازمة قديما تشمل الشرق والغرب الا أننا بدأنا نلاحظ بأن العنصر الغربى آخذ يتحرر من الازمة ، بفضل ما وصلت اليه وسائل الاعلام وتحريك الانتاج الادبى من تطور وتقدم ، حيث أن أمهات الصحف والمجلات وحركة الطباعة الناشطة ، أخذت تغدق على الاقلام أنواعا من التشجيع ، نتيجة ما تتلقاه هذه الاجهزة من تشجيع محسوس واقبال مرموق يتمثلان فى جماهير القراء الذين يتضاعف احساسهم بأهمية الاطلاع وازدادت لهفتهم على ما تنتجه القرائح ٠ وانطلاقا من هذا التجاوب يصبح من المستحيل أن يتسرب الركود الى الاجتهادات المتناقضة من اجل استمرارية الخلق والتجديد فى دنيا الفكر والنشاط الثقافى العام ٠

لا يعنى هذا الكلام تغاضيا عن الدور الحيوى الذى أصبح يلعبه الاعلام العربى ، بقدر ما يعنى محاولة اماطة اللثام عن الامكانيات المسخرة لهذا الجانب ، ودراسة الاطر المشرفة على تحريك دواليب هذا العمل الهام ومعرفة الفلسفة التى ستحكم فى توجيه النشاط الاعلامى ، واستنباط ما تتميز به من خصائص السلب والايجاب ، ولعل النظر للمسألة من هذه الزاوية يمكن من استيعاب ما يكتنف هذا المحيط من ملابسات ٠ ولا مناص من الاشارة ولو على سبيل التلميح الى هذه الازمة التى تعكس معاناة الادب والادباء لأوضاع معروفة ينم عنها ما تتسم به ظروفهم الخاصة مادية واجتماعية ، وسوف لا اتخذ الضجة التى أقامتها الصحافة اللبنانية مؤخرا على الاديب والكاتب الكبير ميخائيل نعيمة ، مبررا كلامى فى هذا الموضوع ، بقدر ما أقصد بذلك أن وضعية الادب والادباء وهذا على الصعيد العربى بالذات ، بحاجة ماسة الى العناية المتواصلة والاهتمام المتكامل ٠ واذا كانت بعض الاقطار العربية فى المغرب العربى كتونس والمغرب ، أخذت تلتفت لهذه الناحية فلا نرى الا

بصيصا من ذلك نسمعه او نقرأ عنه فى الصحافة الواردة من المشرق العربى ، وقد يدل هذا على ضعف التنسيق فى الجهود التى تبذلها الجمعيات والحركات الادبية فى الوطن العربى الكبير ، وعلى حد اعتقادى الشخصى انه آن الاوان للصحافة الادبية مثل مجلة « الفكر » فى تونس الشقيقة ان تتصدى لمعالجة مثل هذه الموضوعات وبكل يقين خصوصا وان هذه المجلة معروفة بنشاطها وشجاعة مواقفها الادبية وبهذا ستسدى خدمة كبرى للادب العربى عموما . ولسنا بحاجة الى التأكيد هنا بأن الصحافة ، وخاصة تلك التى تنهج مثل ما تنهجه مجلة « الفكر » ، تلعب دورا حيويا فى تنشيط الفكر العربى وبلورة معطياته بما فيها من القديم والجديد ، ربطا للسلسلة المتواصلة الحلقات من تاريخ حضاراتنا وأمجادنا .

تعليق على مقال احمد الحاذق العرف

« مفهوم الجنس فى الأدب النسائى التونسى »

بقلم : **حمادى بن الأصفر**
كلية الحقوق ـ تونس

بمناسبة السنة العالمية للمرأة ، صدرت مجلة (الفكر) فى عدد خاص زاخر بالمقالات المتعلقة بالمرأة وهو مجهود طيب عودتنا به مجلة (الفكر) .

ومن بين المقالات ، محاولة للشاب أحمد الحاذق العرف ، عنوانها : « مفهوم الجنس فى الأدب النسائى التونسى » وقد قرأتها بكل عناية وصبر ومما جلب انتباهى بالخصوص النقطة الآتية :

أورد الصديق العرف رأى كاتبة عربية اسمها خالدة سعيد ويتلخص هذا الرأى فى كون الزواج فى تصور العالم العربى هو مؤسسة ، ثم علق على هذا الرأى بما يلى : « فما انفرق بين مؤسسة الزواج هذه وبين سائر المؤسسات الاخرى ما دامت هنا تقدم كسلعة خاضعة للعرض والطلب... الى الافلاس » .

وهذا اعتقد ان الكاتب وقع فى خطأ وسببه عدم معرفته للمصطلحات القانونية ، اذ ان عبارة مؤسسة الزواج فى هذا السياق تحمل مدلولا قانونيا بحتا . وفى رأيى ان الكتابة عن المرأة لا تتطلب الاطلاع على الآثار الادبية فقط

بل لا بد من القاء نظرة على مختلف العلوم الانسانية كالفلسفة وفروعها وعلم الاجتماع والفقه والقانون ٠ وربما لهذا السبب جاء تحليل الأخ العرف مبنيا على غير الاساس الذى يجب ان يبنى عليه ٠

ان عبارة مؤسسة هى ترجمة للكلمة الفرنسية Institution والفرنسى يستعمل هذه المفردة كلما اراد التعبير عن احترامه المطلق لشىء مقدس غير قابل للنقاش ولا للتغيير وهو ربما ما نسميه بالامر المعصوم ٠ اما الانقليزى فهو اذا اراد ان يعبر عن احترامه المطلق ليوم الاحد كيوم ممتاز عن بقية ايام الاسبوع يخصصه للصلاة والراحة والتمتع دون التفكير فى العمل الذى يستغرق بقية ايام الاسبوع فهو يعبر عن هذه الفكرة بكون يوم الاحد هو (مؤسسة) اى لا سبيل لتبديل نسق حياته اثناء ذلك اليوم مهما كانت الظروف قاهرة ٠ على اننى قد اشرت فى بادىء كلامى الى ان سبب خطأ كاتب المقال عدم اطلاعه على القانون ٠

فما هى العلاقة بين كلمة (مؤسسة) وعلم القانون ؟

من بين البدع التى جاء بها القانون وفرضها على المجتمعات هى فكرة أو نظرية الشخصية المعنوية La personnalité juridique كشخصية الدولة وشخصية الشركات والجمعيات الخ ٠٠٠ وهى تقليد للشخصية المادية للآدميين المقصود منها جعل ذلك الهيكل المعنوى كائنا اجتماعيا له حقوق وواجبات ٠

هذا النوع يعبر عنه (بالمؤسسات الاشخاص) Institution - personne على ان النوع الذى أريد الكلام عنه هو القسم الثانى من هذه النظرية وهى (المؤسسات الاشياء Institution chose) وهى فكرة تفرض نفسها على مستوى الوجود والاستمرار فى المحيط الاجتماعى كالقاعدة القانونية La règle de droit فهى فكرة تعيش معنا فى المحيط الاجتماعى L'espace social وتقيد ارادتنا وتحد من اطلاق حريتنا وتخلق فينا الشعور بضرورة الالتزام بها ومعاملتها معاملة الاحترام والخضوع ٠

هذا هو مدلول لفظ (مؤسسة) ٠

على ان المؤسسة ليست دائما ذات أصل قانونى فقد يكون مصدرها (مصدر المؤسسة) العرف والعادة وما اتفق عليه المجتمع من سلوك Conventions Sociales ٠ فهذه الاشياء هى الاخرى تشغل حيزا فى المحيط

الاجتماعي وتعيش معنا ، تؤثر على سلوكنا وتكيف علاقاتنا الاجتماعية في مختلف مظاهرها (علاقات عاطفية ، علاقات جنسية ، علاقات زوجية الخ...)

وهكذا تصبح كأنها المشرع الذى يفرض ارادته على المجموعة البشرية التي تعيش تحت سلطانه .

ولربما قد تأثر القانون في هذه الناحية بأحد المذاهب الفلسفية المعروفة وهو مذهب (الشيئية Le chosisme) .

فهذا اذن ما قصدته خالدة سعيد من تعبيرها (مؤسسة الزواج) أى العلاقة الزوجية كاطار شرعي وحيد يمكن ان توجد فيه العلاقات الجنسية . وقد اهتدى الكاتب الى هذا المعنى بالذات عندما قال : « تلتقى قصص ناجية ثامر كلها في هذا الالحاح على الزواج ... لا معنى لاى علاقة جنسية سليمة لاتتم داخل هذا الاطار ... باعتبارها قد طرقت هذه العلاقة قبل الدخول في مؤسسة الزواج ... » .

إلا أني لست أدرى من أين ، وكيف أمكن للكاتب أن يشم رائحة المؤسسة التجارية !؟

فهل أن الزواج مؤسسة ؟

هذه المشكلة تبرز عندما تقرر دولة من الدول تقنين العلاقات العائلية La codification .

وتبرز بالصورة التالية :

هل نجعل العلاقات بين الجنسين رهينة ارادة الافراد يتصرفون فيها حسب هواهم أى اننا نعتد بالنظرية التعاقدية La théorie contractuelle أم اننا نجعل من الزواج مؤسسة تسيرها قواعد قانونية آمرة Des lois impératives تتجاوز ارادة الافراد بحيث ان الزيغ عنها ينتج عنه بطلان تصرف الافراد وعدم انتفاعهم بنتائج هذا التصرف . أى اننا نعتد بالنظرية التأسيسية La thèorie institutionnelle ، ان غالب المشرعين يعتبرون الزواج مؤسسة اى انه في تكوينه وفي انحلاله يتحدى الارادة الحرة للافراد ويأخذ صبغة نظامية Caractàre régulier .

هذا المقصود بمؤسسة الزواج ـ ولا دخل للاعمال التجارية هنا ولا لقانون العرض والطلب .

ح. ١٠
الرابعة حقوق

أضواء الفكر

◆ عقد اتحاد الكتاب التونسيين جلسته العامة العادية يوم 12/29 المنصرم وحضرها الى جانب عدد من الشخصيات المدعوة أغلب الاعضاء المنخرطين . وقد عرض خلال هذه الجلسة التقريران الأدبي والمالي فتمت المصادقة عليهما بالاجماع بعد نقاش شاركت فيه ثلة من الحاضرين .

وفي الختام تم انتخاب الهيئة الجديدة بواسطة الاقتراع السرى على قائمة ضمت 15 مترشحا على أساس اختيار 10 من بينهم . فكانت حصيلة الأصوات التي جملتها 45 صوتا (يطرح منها ورقة ملغاة واحتفاظ واحد) كما يلي :

محمد مزالي 42 صوتا	الميداني بن صالح 34 صوتا	عبد العزيز قاسم 20 صوتا
محمد العروسي المطوى 40 صوتا	محمد فنطر 32 صوتا	التهامي نفرة 19 صوتا
البشير بن سلامة 36 صوتا	نور الدين صمود 30 صوتا	فاطمة سليم 17 صوتا
مصطفى الفارسي 34 صوتا	سمير العيادي 29 صوتا	محسن بنحميدة 14 صوتا
	الطيب العنابي 27 صوتا	نور الدين بن بلقاسم 10 أصوات
		محمود الباجي 4 أصوات

◆ أقامت جريدة «العلم» المغربية منذ أمد غير بعيد احتفالا بالذكرى التاسعة والعشرين على إنشائها حضره بمدينة الرباط قادة الاحزاب الوطنية وجمع كبير من رجال الصحافة والسياسة ، وقد جعلت « العلم » شعار الاحتفال بذكرى تأسيسها هذه السنة مناهضة الرقابة المفروضة بكيفية لا قانونية على الصحافة المكتوبة . وقد ألقى في بداية الحفل الاستاذ عبد الكريم غلاب مدير « العلم » كلمة تعرض فيها لما بذلته جريدته المناضلة في مناهضة الرقابة منذ نشأتها أيام الحماية .

هذا وقد وافتنا الجريدة مشكورة بنسخة من النشرية التي أصدرتها بهذه المناسبة تضمنت الكلمات التي ألقيت في هذا الحفل مع صور للحاضرين ونماذج من المقالات النضالية التي كتبت على صفحاتها .

◆ بمناسبة ملتقى الامام المازرى الذى انتظم بالمنستير خلال شهر نوفمبر الماضي أصدرت اللجنة الثقافية الجهوية بتلك المدينة كتابا عنوانه « المازرى الفقيه والمتكلم ، وكتابه المعلم » ألفه الشيخ محمد الشاذلي النيفر .

احتوى الكتاب على عدة عناصر تلقى أضواء كاشفة على حياة الامام المازري وعصره وجوانب أخرى تتظافر في تحليل آرائه في الفقه والاجتهاد والحديث وعلم الكلام وسائر الميادين العلمية التي جعلت من الرجل امام عصره بلا منازع •

• وافانا الاستاذ العوضي الوكيل الشاعر المصري المعروف بنسخة من مصنفه شرح ديوان المتنبي الذي تتولى نشره مؤسسة دار الشعب بالقاهرة في طبعات شعبية مجزأة الى أجزاء عديدة حتى يكون في متناول كل قارىء • نرجو أن نرى الاجزاء التي صدرت من هذا العمل في واجهات المكتبات التونسية قريبا •

• شهدت دار الثقافة « ابن خلدون » في آخر الشهر الماضي ميلاد نادي للشعر • حضر الجلسة التأسيسية عدد وافر من الشعراء وتقاسموا الاعمال التي سينهض بها هذا النادي فيما بينهم ، وقد علمنا أن الشعراء الذين قاموا بدور هام في تنشيط هذا العمل هم نور الدين صمود ، نور الدين عزيزة ، محمد أحمد القابسي ، والمنصف حشيشة • والملاحظ أنهم لا ينتمون الى مدرسة شعرية واحدة فعسى أن يكون في عملهم هذا بادرة تلاقح تثري إنتاجهم وإنتاج ناديهم ـ فيما يستقبل من الايام •

• من الكتب التي صدرت حديثا عن الدار العربية للكتاب رواية للصديق محمد صالح الجابري بعنوان « البحر ينشر الواحه » وهي تقع في 212 صفحة وتتناول بالتحليل شرائح اجتماعية في إبان اصطخابها وضجتها وتحولها الاجتماعي • وقد تتاح لنا فرصة لتقديم هذا الانتاج الى القراء في ركن المطالعات •

وقد علمنا من جهة أخرى أن لنفس الكاتب دراسة تحت الطبع (قد تصدر بعد اسبوعين) عنوانها « القصة التونسية ، نشأتها وروادها » وتتولى نشره مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله • نرجو للاخ الجابري دوام الخصب والنشاط •

• إضافة الى قائمة الكتب التي أصدرتها الدار العربية للكتاب والتي يجدها القارىء في آخر هذا العدد نود الاشارة الى جملة من المصنفات التي هي بصدد الاعداد وسنراها قريبا في الاسواق ومن بينها :

ـ « الرازي من خلال تفسيره » تأليف : عبد العزيز المجدوب •

ـ « شاعرية أبي العلاء المعري في النقد القديم » تأليف : محمد مصطفى ابن الحاج •

ـ « ستون قصة قصيرة » تأليف : عبد الله القويري •

ـ « مهجريات » تأليف : عيسى الناعوري •

الفهرست

العدد 4 ـ جانفى 1976 ـ السنة الواحدة والعشرون

الفكر
مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا

مؤسسها ومديرها المسؤول

محمد مزالى

رئيس التحرير : البشير بن سلامة

سكرتير التحرير: عبدالواحد براهم

الادارة . 13 نهج دار الجلد ـ تونس

تليفون : 260.237

لحساب الجارى : 33769 ـ تونس

العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهرى أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :

اشتراك عادى بتونس والبلاد العربية 3 دنانير .

اشتراكات بالخارج 3.500 ثلاثة دنانير ونصف

اشتراك الانصار د 5 دنانير

- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة او يصب فى حسابها الجارى : 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم :

مدير مجلة « الفكر »

صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL-FIKR - Revue mensuelle culturelle 21° Année N° 4 Jan. 1976

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجى سليم ـ تونس